المنطلقات الرئيسة
في خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز
ودورها في البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر

د. صالح بن علي أبو عراد
قسم اللغة العربية - كلية المعلمين - جامعة الملك خالد في أبها

لا يختلف اثنان في أن الملك فيصل بن عبدالعزيز- رحمه الله - كان واحدًا من أهم دعائم الدولة السعودية المعاصرة المبنية على أسس حديثة. وهو في ذلك يعد مواصلاً للمسيرة الخيِّرة المباركة التي كان قد بدأها والده الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، ثم أخوه الملك سعود، وكان فارس التنمية الحقيقي، ورائد التقدم والبناء الحضاري المعاصر لهذه البلاد؛ فقد كان له عناية كبيرة واهتمام بالغ بمختلف المعطيات الضرورية لبناء وتنمية المجتمع السعودي المسلم، بما له من الرؤية الثاقبة والبصيرة النافذة، وشاهد ذلك خطبه وأحاديثه عامة، رحمه الله، فلها أهمية خاصة في تحقيق ذلك الشأن، رغم أنه كان قليل الكلام، وهو ما يشير إليه أحد الكتَّاب بقوله في وصف الملك فيصل: "يتميز جلالة الفيصل بالصدق والرغبة الأكيدة في نشر الخير، وهو نزر

الكلام، ويزنه وزنًا قبل النطق به، يسبق عقله الراجح كلامه، ولم يكن ممن يسبق لسانه عقله" (٧: ١١٣)(*).

والدراسة الحالية معنية بالوقوف على بعض خطب الملك فيصل - رحمه الله - ومحاولة تسليط الضوء على أثرها الفاعل في تحديد معالم الدولة من خلال تعرّف أبرزٍ وأهم المنطلقات الرئيسة التي تضمنتها هذه الخطب، إضافةً إلى معرفة الدور الذي أسهمت به هذه الخطب الفيصلية في تفعيل عملية البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر.

موضوع الدراسة

يتمثل موضوع الدراسة في الإجابة عن السؤالين التاليين:

١ - ما المنطلقات الرئيسة التي يمكن استنباطها من خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله -؟

٢ - ما دور خطب الملك فيصل في البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر؟

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في:

١ - اهتمامها بدراسة وتحليل بعض خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز في مناسبات وتواريخ مختلفة.

٢ - إبرازها المنطلقات الرئيسة في خطب الملك فيصل.

٣ - بيان دور خطب الملك فيصل في تحقيق البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر.

(*) يشير الرقم الأول إلى رقم المرجع في قائمة المراجع، أما الرقم أو الأرقام الثانية فتشير إلى رقم أو أرقام الصفحات في المرجع نفسه.

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لبعض خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز، وعددها (٣٠) خطابًا ملكيًا في مناسبات وتواريخ مختلفة؛ جاءت في الجزء الأول من كتاب "مختارات من الخطب الملكية".

المحور الأول: المنطلقات الرئيسة في خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز

تشتمل مجموعة خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز، على عدد من المنطلقات الرئيسة التي يمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

أولاً: تأكيد التمسك بالعقيدة والشريعة الإسلامية

كان الملك فيصل يؤكد دائمًا أهمية تمسك الأمة كلها بشريعة الله السمحة التي تكفل لمن تمسّك بها العزة والكرامة في الدين والدنيا، وهو ما أورده في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال السنوي بمناسبة الحج يوم الجمعة ١٥ ذي الحجة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٥ فبراير ١٩٦٧م، بقوله: "ولذلك كان لزامًا عليكم - أيها المسلمون - جميعًا، أفرادًا وجماعات وشعوبًا، أن تدفعوا الشر عن دينكم وعن شريعتكم، وأن تتمسكوا بحبل الله القويم، لا لشيء إلا لمصلحتكم أنتم، ولعزتكم ولكرامتكم، ولنتمكن من غفران ورحمة ربكم سبحانه وتعالى" (٢: ٣٤١).

ولأنه كان مؤمنًا بما يدعو الأمة إليه من التمسك التام بالعقيدة الإسلامية، والعودة إليها في مختلف شؤون الحياة باعتبارها منطلقًا لتحرير النفوس وتزكيتها؛ كثيرًا ما تعرض

لذلك في خطبه، ولم يجد حرجًا في تكرار ذلك، وفي هذا الشأن يقول في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي عام ١٣٨٨هـ: "فنحن عندما نكرر في كل مناسبة أننا يجب أن نجعل العقيدة الإسلامية هي الركيزة التي يجب أن ننطلق منها لتحرير أنفسنا، ولرد الظلم عنا وعن أبناء مواطنينا في كل الأنحاء، وفي كل الأقطار، هذا هو الذي يدعونا إلى أن نجعل هذه الدعوة هي ديدننا" (٢: ٣٦٨).

وليس هذا فحسب، فلم يكن - رحمه الله - يدع فرصة يمكنه من خلالها مخاطبة الأمة؛ إلا ويغتنمها في الدعوة إلى العودة إلى الله تعالى، والتمسك بالعقيدة الإسلامية، وتأكيد ذلك الأمر لما فيه من المنافع الدينية والدنيوية، ومن ذلك خطابه الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ، وفيه يقول: "أيها الإخوان، لست في حاجة إلى أن أذكّركم بما يجب أن نكون عليه من إيمان وإخلاص وتمسك بعقيدتنا وشريعتنا؛ فإننا إذا أردنا أن نحوز على الخير كله دينا ودنيا فعلينا أن نتمسك بهذه العقيدة، ونتبع ما أنزل الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه، وما سنّه نبيه" (٢: ٣٩٥).

وقوله في خطاب آخر ألقاه في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي بمقر الضيافة في جدة، يوم الإثنين ١٦ المحرم ١٣٩٠هـ، الموافق ٢٤ مارس ١٩٧٠م: "يجب علينا قبل كل شيء أن نعود إلى ربنا سبحانه وتعالى، وأن نستعيد إيماننا بالله

وتمسكنا بعقيدتنا، والسعي بإخلاص للدفاع عن أنفسنا وعن كرامتنا وعن مقدساتنا بكل ما أوتينا من قوة" (٢: ٣٨٩).

وكان يرى أن ذلك التمسك بالعقيدة الإسلامية يعد من أوجب الواجبات على المسلمين جميعًا، لأنه السبيل إلى الفوز بخيري الدنيا والآخرة، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في الحفل التكريمي السنوي لرؤساء وأعضاء بعثات الحج الإسلامية يوم الجمعة ١٦ ذي الحجة ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤م، بقوله: "من واجبنا جميعًا التمسك بديننا وإيماننا بربنا وتضامننا وتآخينا في هذا السبيل بكل إخلاص وكل جد وكل عزيمة؛ لأن هذا هو الذي يحقق لنا كل خير في دنيانا وآخرتنا، ومما لا شك فيه أن التمسك بالعقيدة والإيمان بالله سبحانه وتعالى هو الأساس في نصر المسلمين" (٢: ٤٢١).

ويتضح مما سبق أن مبدأ العودة إلى الله تعالى، والتمسك بتعاليم الدين الصحيحة قولاً وعملاً كان أمرًا يسيطر على تفكير الملك فيصل، ويغلب على عباراته، ويهيمن على مواقفه، ولاسيما أنه يحب لأبناء أمته أن يكون هذا همهم الأول، وهاجسهم الدائم لإعادة أمجاد الأمة المسلمة وتحقيق عزها، وتتفق هذه الرؤية مع ما ذكره أحد الكتاب في وصفه للملك فيصل بقوله: "فالفيصل قائد رائد، موجه إلى الخير، داعية إلى إعادة مجد الإسلام على الأساس القويم" (٩: ١٣٤).

ثانيًا: العودة إلى العقيدة الصافية ورفض القوانين الوضعية المخالفة لهذه العقيدة

ويظهر ذلك جليًا في خطبه، حيث يمثل منطلقًا رئيسًا، من خلال الآتي:

١ - المناداة بالعودة إلى الأصول الدينية، وهو جانب يكاد يكون محورًا رئيسًا في معظم الخطب الفيصلية التي كان يلقيها في مختلف المناسبات سواء كانت في الداخل أو الخارج، وما ذلك إلاّ انطلاقًا من يقينه بأن الإسلام هو الدين الحق، وأنه كفيل متى عادت الأمة إليه وتمسكت بتعاليمه وتوجيهاته بتحقيق الخير والتقدم المنشود في مختلف مجالات الحياة، وإصلاح أمور الدين والدنيا في كل زمان ومكان، وفي هذا الشأن يقول في خطابه الذي ألقاه في مجلس الأمة التونسي عام ١٣٨٦هـ: "إذا أردنا أن نصل بأمتنا وبأوطاننا إلى استقرار دائم، وإلى تقدم كامل؛ فعلينا أن نعود إلى قواعدنا الأساسية، وأن نتبصر فيها، وأن نتفهمها على حقيقتها، ونستنبط منها ما يصلح أحوالنا وأمورنا في جميع الأزمان، وفي جميع الحالات، وفي جميع الأوطان؛ فإنها صالحة لكل زمان، ولكل وطن، ولكل أمة" (٢: ٣٢١).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن اعتزاز الملك فيصل بدينه وعقيدته الإسلامية كان أمرًا واضحًا في معظم خطاباته التي كان يؤكد من خلالها أن نظام الإسلام بتعاليمه وتوجيهاته صالح لتحقيق كل ما تحتاج إليه البشرية من مطالب مختلفة في حياتها المعاصرة، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه

في جامع الزيتونة بتونس يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٦٦م بقوله: "حينما نرجع إلى عقيدتنا الإسلامية، وإلى أصولها، وإلى أسسها نجد فيها كل المتانة، ونجد فيها كل الخير، ونجد فيها كل القوة، ونجد فيها البناء، ونجد فيها التقدّم، ونجد فيها في الوقت نفسه ضمان الحرية، وضمان العدالة والسماحة التي تعطي لكل صاحب حق حقه" (٢: ٣١٧).

وليس هذا فحسب، فقد كان كثيرًا ما يؤكد دعوته تلك بتكراره لها في كثير من المناسبات على أساس أنها دعوة ربانية عامة، وأنها واجبة على كل مسلم على وجه الأرض، وأنها ليست دعوة فردية أو شخصية لأي إنسان كائنا من كان، وهو ما أشار إليه في خطابه لبعثة الحج اللبنانية عام ١٣٨٧هـ، بقوله: "فنحن في وضعنا الحاضر إذ ننادي بالدعوة الإسلامية، فالدعوة الإسلامية ليست دعوة فيصل أو دعوة زيد أو عمرو؛ وإنما هي دعوة الله - سبحانه وتعالى - أرسلها على لسان نبيه محمد، وجميع المسلمين في العالم هم شركاء فيها وسواسية فيها، الفرد منهم والجماعة، لا تخص أحدًا دون أحد، وليست ملكًا لأحد دون أحد، وإنما هي دعوة للجميع" (٢: ٣٦١).

وقد تعرض للمعنى نفسه في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي عام ١٣٨٨هـ، بقوله: "ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن على إخواننا في كل أقطار الأمة الإسلامية أن يتفهموا هذه الدعوة على حقيقتها،

وألا يلتفتوا إلى ما يحاوله بعض المغرضين من إلصاق بعض التهم أو الشوائب بهذه الدعوة، فالدعوة ليست دعوة فيصل، ولا دعوة أي أحد كان. هذه دعوة ربنا - سبحانه وتعالى - أبلغها إلينا نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فمن يدَّعي بأن هذه الدعوة هي دعوة فيصل، أو دعوة أي كان من الناس؛ فمعنى هذا أنه لا يعرف الدعوة، وأنه يحقِّرها إذا أخرجها عن اتجاهها الصحيح" (٢ : ٣٦٨).

٢ - رفض الدساتير والقوانين الوضعية المخالفة للشريعة: ومن أبرز ما يميز شخصية الملك فيصل، تلك الجرأة الواضحة في مواجهة مختلف الظروف السياسية في عصره، وشجاعته في إعلان مبادئه ومواقفه الرافضة لكل ما يخالف مبدأ الحق والعدالة، ولذلك فقد أعلن في كثير من خطبه عن رفضه للدساتير والقوانين الوضعية والشعارات الزائفة، وقد أشار إلى ذلك في تساؤله الصريح ضمن خطابه الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الذي انعقد بمكة المكرمة صبيحة يوم السبت الموافق ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "لماذا أيها الإخوة، ونحن مسلمون ونتبع سنة رسول الله نلجأ إلى وضع القوانين الوضعية والدساتير التي تتعارض مع أصول ديننا؟" (٢ : ٣٠١).

ثم يتبع ذلك التساؤل بتوضيح ما ينطوي عليه ذلك الأمر من الخطر العظيم والمصيبة الكبرى التي وقع فيها بعض أبناء الأمة، وهو ما يشير إليه في الخطاب نفسه بقوله: "ومما يعظِّم المصيبة أن نجد بيننا من يصدِّق هذه المبادئ

والمذاهب، وأن يحاول السيطرة بها على الشعوب الإسلامية" (٢: ٣٠١).

ثم يبيِّن ما في ذلك الأمر من الفساد الكبير والمخالفة للمنهج الشرعي، وعدم الصلاح الديني أو الدنيوي، وما يترتب عليه من التبعية المقيتة لبعض الأهواء والأكاذيب والأغراض الواهية الرخيصة، وقد أعلن رأيه الصريح والواضح في هذا الشأن ضمن خطابه الذي ألقاه بجامع الزيتونة في تونس يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٦٦م بقوله: "فعبادة الأصنام ليست هي فقط في عبادة أصنام معمولة من الحجارة، أو من الطين، أو أي مادة أخرى، ولا عبادة الأشخاص، وإنما كذلك عبادات معنوية. إن البشر يعبدون اتجاهات أو مذاهب أو عقائد ليس لها في الحقيقة معنى، وليس لها أي أساس ترتكز عليه، وإنما هي نظريات وشعارات ترفع لأغراض إما شخصية، أو أغراض سياسية، أو أغراض مصلحية يراد بها لفت الأنظار، ويراد بها تجميع الأنصار حول شعارات لا تستند إلى حقيقة ولا أساس" (٢: ٣١٦-٣١٧).

ولأن الملك فيصل كان صاحب ثقة تامة في دينه وعقيدته الإسلامية، فإنه لم يكتف بهذا الرفض، وإنما عززه بخطاب آخر ألقاه في مجلس الأمة التونسي عام ١٣٨٦هـ، جاء فيه قوله: "إننا لسنا في حاجة إلى أن نستورد أي آراء أو أي عقائد أو أي قوانين من الخارج، بل بالعكس فإن الأمم هي نفسها تستفيد من شريعتنا ومن قواعدنا" (٢: ٣٢١).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الرؤية تتفق تمامًا مع ما أشار إليه أحد الكتاب الذي أكَّد أن فكرة عدم حاجة الفكر الإسلامي إلى المبادئ المستوردة، كانت ثابتةً عند الملك فيصل منذ كان وليًا للعهد، وقبل أن يتولى الملك؛ ففي خطابه الشعبي بالرياض في ٢٥ شعبان ١٣٨٢هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٦٣م، وقف يخطب ويقول: "نحن لسنا في حاجة إلى أن نستورد تقاليدنا من الخارج، وقد كان لنا تاريخ، وقد كان لنا ماض مجيد، وقد قدنا العرب، وقدنا العالم، فبماذا قدناهم؟ قدناهم بكلمة الله، وتوحيد الله، وسنة رسوله" (٤: ٤١).

وليس هذا فحسب؛ فقد ظل يؤكد هذا المعنى في كثير من خطبه بالتحذير من مثل تلك المبادئ والشعارات المنحرفة، والأمل في الابتعاد عنها وعن الانتماء إليها أو اعتناقها، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في الحفل التكريمي السنوي لرؤساء وأعضاء بعثات الحج الإسلامية يوم الجمعة ١٦ ذي الحجة ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤م، وفيه يقول: "وأملنا – إن شاء الله – بإخواننا المسلمين أن يبعدوا عنهم كل هذه المبادئ المنحرفة الملحدة التي لا يلقى منها من يعتنقها أو يحتضنها إلا كل تحطيم وكل خسارة. ومما لا شك فيه أن ديننا الإسلامي يغنينا عن أي مبادئ أو شعارات أو تظاهرات لا تتوافق مع عقيدتنا الإسلامية وتشريعنا الإسلامي" (٢: ٤٢٣).

وهكذا، يعلن الفيصل عبر خطبه رأيه الواضح والصريح والجريء في مسألة رفض الدساتير البشرية والقوانين الوضعية المخالفة للشريعة، والشعارات المنحرفة، وأهمية

العودة إلى منهج الله تعالى السماوي والتمسك به في كل شأن من شؤون الحياة، وكل جزئية من جزئياتها.

ثالثًا: التشرف والاعتزاز بخدمة الإسلام والمسلمين

وهو أمر حرصت عليه المملكة العربية السعودية حكومةً وشعبًا، ونهج التزمت به منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز، وسار عليه أبناؤه من بعده إلى وقتنا الحاضر، وقد أكد الملك فيصل ذلك المعنى بقوله في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة يوم السبت ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "إننا، أيها الإخوة في هذا البلد، شعبًا وحكومةً، لنرحب بكم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا معكم من الذين قال فيهم ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]. وإنه ليشرِّف شعب المملكة العربية السعودية أن يكون عضوًا عاملاً للدعوة إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، وخدمة أمتنا الإسلامية، والسعي لما يرفع شأنها، ويحقق آمالها، وينير لها سبيل الحق" (٢: ٣٠٠).

ومن جانب آخر فإن المملكة العربية السعودية عندما تقدم العديد من الخدمات الجليلة لأبناء المسلمين سواء من الحجاج أو المعتمرين أو الزوار أو غيرهم من أبناء الإسلام؛ فإنما تؤدي واجبًا مفروضًا عليها، وتعد ذلك جزءًا من خدمتها للإسلام والمسلمين بعامة، بل إنها ترى ذلك شرفًا لها؛ لأنها تخدم أبناء أمة الإسلام في هذا الجانب، وهو ما أكّده الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه أثناء لقائه علماء من

جمهورية مالي بقصر الضيافة في (باماكو) عاصمة دولة مالي، وفيه يقول: "وإننا إذا كنا وفقنا إلى بعض الخدمات التي نؤديها إلى إخواننا حجاج بيت الله الحرام، وزوار مسجد رسوله، فإننا نؤدي واجبًا يفرضه علينا ديننا، وتفرضه علينا مسؤوليتنا تجاه الشرف الذي خصّنا الله به سبحانه وتعالى؛ إذ جعلنا خدمًا للأماكن المقدّسة، ونعتبر هذا شرفًا عظيمًا، ومنَّةً عظيمةً أن نقوم بخدمة إخواننا المسلمين في الأماكن المقدسة التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - أمنًا. وفرض على كل مسلم أن يسعى إلى استتباب الأمن والرخاء في هذه الأماكن" (٢: ٣١٢).

وليس هذا فحسب، فقد كان يؤكد أن ما تقوم به المملكة من خدمة للأماكن المقدسة، ولمن يفد إليها من الحجاج والمعتمرين والزوار من كل مكان يعد شرفًا لها سواء على مستوى الحكومة أو الشعب، وهو ما أورده في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال السنوي بمناسبة الحج في ١٥ ذي الحجة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٥ فبراير ١٩٦٧م، حيث يقول: "أيها الإخوة: إن سكان هذا البلد يزيدهم شرفا واعتزازا أن أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بالقيام على خدمة هذه الأماكن المقدسة، وعلى خدمتكم - أيها الإخوان - حينما تأتون تؤدون فريضتكم، وتقضون مناسككم، وهذا نعتبره أكبر فخر، وأكبر نعمة نعتز بها بعد نعمة الإسلام" (٢: ٣٤٠).

بل إنه تجاوز ذلك الشعور إلى ما هو أعمق منه، فقد كان يرى أن ما تقوم به المملكة في خدمة المسلمين يعد واجبًا

يستوجب شكر الله عليه، وهو ما أورده في خطابه الذي ألقاه في الحفل الذي أقامه الرئيس الإندونيسي سوهارتو تكريمًا لجلالته في أثناء زيارته لإندونيسيا عام ١٣٩٠هـ، حيث يقول: "إن ما تفضلتم به يا فخامة الرئيس عما نقوم به في خدمة بلادنا وشعبنا، وفي خدمة إخواننا المسلمين؛ وفود بيت الله الحرام، شيء لا يمكن أن نشكرَ عليه؛ لأن هذا واجبنا ومفروض علينا، بل الشكر يجب أن يصدر منا نحن إذ وفقنا الله سبحانه وتعالى على أداء هذا الواجب" (٢: ٣٩٤).

رابعًا: العناية والاهتمام بقضايا الأمة العربية والإسلامية

تؤكد معظم الخطب الفيصلية اهتمام الملك فيصل الشديد، وتركيزه الواضح على مختلف القضايا العربية والإسلامية، فقد كان يدعو الأمة المسلمة إلى أهمية الاعتصام بحبل الله المتين، والحرص على وحدة الصف العربي الإسلامي، والعمل الجماعي المشترك لما فيه الصالح العام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه - رحمه الله - لم يكتف بمجرد الدعوة القولية إلى الاهتمام بقضايا الأمة العربية والإسلامية، ولكنه قام بترجمة تلك الدعوة إلى خطوات دعوية تنفيذية على مختلف المستويات، وهو ما يمكن إيضاحه من خلال الآتي:

١ - الرحلات الملكية إلى البلاد الإسلامية

من أبرز الجهود التي قام بها الملك فيصل بن عبدالعزيز للعناية بقضايا الأمة والاهتمام بها، قيامه بالعديد من

الرحلات والزيارات للبلدان العربية والإسلامية سواء كانت آسيوية أو إفريقية، وقد اجتمع فيها بقادة تلك البلدان وزعمائها، وتباحث معهم في الكثير من القضايا ذات العلاقة بواقع الأمة الإسلامية ومصيرها المشترك، فكانت رحلته الأولى والكبرى التي بدأت في ١٥ من شعبان ١٣٨٥هـ، الموافق أول ديسمبر ١٩٦٥م، بزيارة إلى دولة إيران، فالكويت، والأردن، وكذلك السودان وباكستان في السنة نفسها. وفي سنة ١٣٨٦هـ زار إسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية، والصومال، فتركيا، والمغرب، ثم زار غينيا، ومالي، ثم تونس التي انتهت زيارته لها في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٦٦م. كما أنه زار مصر في أول عام ١٣٩١هـ.

أما الرحلة الثانية، فقد عرفت بالرحلة الإفريقية؛ لأنه - رحمه الله - خص بها الدول الإسلامية الإفريقية، وقام بها في عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، حيث شملت خمس دول كانت بدايتها زيارته إلى أوغندا في ٨ شوال ١٣٩٢هـ، الموافق ١٤ نوفمبر ١٩٧٢م، فتشاد، فالسنغال، فموريتانيا، ثم النيجر التي انتهت زيارته لها يوم ٢٣ شوال ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٧٢م.

وعلى الرغم من نجاح تلك الزيارات والرحلات على الصعيد السياسي الذي كان هدفها الرئيس، إلا أنها حققت العديد من النجاحات الأخرى؛ إذ كان فيها الكثير من معاني التواصل بين أبناء الإسلام، والعمل على تذويب الخلافات،

والسعي لوحدة الصف، كما أنها نجحت في تحقيق هدف آخر على قدر كبير من الأهمية، ويتمثل في تخليص مسلمي القارة الإفريقية من النفوذ الصهيوني الذي كان متغلغلاً في بعض الدول الأفريقية المسلمة، وهو ما ألمح إليه أحد الكتاب بقوله: "إن إسرائيل كان لها نفوذ في إفريقيا، ولها أسواق تجارية، وعندها خبراء كثيرون يعملون هناك؛ فاستطاع فيصل أن يؤثر في البلدان التي زارها، وإذا بجهوده تثمر فنسمع أن أوغندا، وغينيا، وتشاد، والنيجر قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، ثم تبعتها دول إسلامية أخرى، حتى قطعت جميع دول إفريقيا علاقاتها ما عدا الدول العنصرية" (٤: ٦٧-٦٨).

وليس هذا فحسب، فإنه - رحمه الله - من خلال تلك الرحلات والزيارات التي جاب فيها كثيرًا من أقطار العالم الإسلامي، قد نجح في كسب التأييد الإسلامي لدعوته للتضامن بين الشعوب الإسلامية، وهو ما يشير إليه أحد الكتاب في وصف هذه الرحلات بقوله: "كانت نصرًا لفيصل؛ نصرًا عظيمًا وعميقًا، وردا مباشرا على بعض الدول العربية الاشتراكية التي حاربت فكرة التضامن الإسلامي، وزعمت أنها فكرة إمبريالية استعمارية؛ لأنها كانت تخافها وتخشى منها على وجودها. لقد استطاع فيصل أن يقنع جميع الرؤساء الذين زارهم على اختلاف ميولهم بشأن التضامن الإسلامي، وكانت الخطب التي ألقيت في هذه الزيارات، أو البلاغات الرسمية المشتركة، تدعم دعوة فيصل، وتبيِّن

قيمتها وشأنها، وما قد يجنيه المسلمون والعالم كله منها إذا تحققت" (٤: ٦١).

إن نجاح الرحلات الفيصلية كان يعد حدثًا كبيرًا ومنعطفًا واضحًا في مسيرة السياسة العالمية المعاصرة، وقد شهد العالم – في إعجاب وتعجّب – مبدأ قيام جلالته بهذه الرحلات العالمية المرهقة، ثم شهد وتحقق من نجاحها فيما رسمت له... وبرز جليًا أن عبقرية الفيصل قد أثّرت تأثيرًا عجيبًا رائعًا في نفوس كل من لاقاهم من الملوك، والرؤساء، والزعماء حيال دعوته الجهيرة إلى التضامن الإسلامي (٨: ٩٤).

٢ - إطلاق الدعوة العالمية للتضامن الإسلامي وتبنيها والدفاع عنها

جاءت دعوة الملك فيصل العالمية للتضامن الإسلامي تتويجا جميلا ورائعا لجهوده الجبارة في خدمة قضايا الأمة المسلمة في عصر عانت الأمة فيه ألوانًا من الفرقة والخلاف والتشتت والضعف والتخلف؛ ولذلك فإن دعوته العالمية للتضامن الإسلامي كانت في ذلك الوقت بمنزلة المعجزة، وهو تعبير ورد عند أحد الكُتاب إذ يقول: "وفي هذا القرن بدأت معجزة جديدة تتحقق على يدي رجل عظيم. أما المعجزة فهي كسر القيود التي كانت تمنع المسلمين في كل مكان من العالم من العودة إلى ما أمرهم به الإسلام من التعارف والتآلف، والتضامن والتعاون، والسعي إلى عودتهم أمةً واحدةً تعود من جديد خيرَ أمة، وأقوى أمة، وأنفعَ أمة. أما الرجل العظيم فهو فيصل بن عبدالعزيز" (٤: ١١).

ولأن هذه الدعوة الفيصلية عظيمة في معناها ومبناها؛ فقد أوضح الملك فيصل - الذي يعد بحق رائد التضامن الإسلامي المعاصر - حقيقتها منذ بداية انطلاقها، وبيَّن أنها دعوة للتقارب وتوحيد الصفوف بين المسلمين، ولمِّ الشمل من جديد على منهج الدين الإسلامي الحنيف، وفي ذلك يقول في خطابه السنوي الذي ألقاه في حفل تكريم رؤساء بعثات الحج لعام ١٣٨٥هـ: "أيها الإخوة المسلمون: لقد قيل عمّا نقوم به اليوم من دعوة إلى الإسلام، وإلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وإلى تقارب المسلمين وتعاونهم، قيل في هذا الأقاويل، واعترض المعترضون، وشوَّش المشوشون، ولكن تبيانًا لكم أقول لكم اليوم بكل صراحة: إن ما ندعو إليه هو أن يتقارب المسلمون، وأن يتحابوا، وأن يتعاونوا، وأن يشد بعضهم أزر بعض في كل ما يلزمهم في أمر دنياهم وآخرتهم" (٢: ٣٠٨).

كما أنه كان حريصًا على بيان أهداف تلك الدعوة وغاياتها السامية التي كان يعلنها بكل صراحة ووضوح، ويدافع عنها في خطاباته المختلفة، ومنها خطابه الذي ألقاه في حفل جمعية اتحاد المسلمين بلندن يوم الجمعة ١٣ صفر ١٣٨٧هـ، الموافق ١٠ مايو ١٩٦٧م، وفيه يقول: "وإني أشهدكم - بعد الله - على أننا لا نريد في دعوتنا هذه إلا خير المسلمين في كل أقطار العالم، ولذلك سمحت لنفسي أن أشرح هذا الموضوع أمامكم حتى تكونوا شهودًا، ونحن نقول لإخواننا المسلمين المعارضين لهذه الدعوة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وندعو إلى تحكيم القرآن والشريعة الإسلامية بصفته قانونًا

أساسيًا ودستورًا للمسلمين، ومن يدَّعي أن تحكيم الشريعة الإسلامية سيكون عائقًا أو مؤثرًا في تقدم الشعوب أو البلاد؛ فهو بين اثنين: إما جاهل لا يفهم من الشريعة الإسلامية شيئًا، أو أنه جاحد ومعاند" (٢: ٣٤٥-٣٤٦).

وليس هذا فحسب؛ فإن مما يحسب للملك فيصل في هذا الشأن أنه دافع بقوة وحكمة عن دعوته للتضامن الإسلامي التي أقلقت كثيرًا من أعداء الإسلام وفي مقدمتهم القوى الاستعمارية، والقوى اليهودية الصهيونية، والقوى الشيوعية الملحدة، وقد أدرك أن تلك القوى ترفض وتناهض وتهاجم دعوته للتضامن الإسلامي؛ فما كان منه إلا أن تصدى بكل عزم وإصرار، وبكل ثقة واقتدار لمجموع هذه القوى المعادية، ولأدعيائها وعملائها الذين حاولوا الوقوف في طريق هذه الدعوة، وإثارة المشكلات حولها، وإطلاق التهم عليها.

وقد أكد الملك فيصل موقفه من ذلك كله في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لتكريم رؤساء بعثات الحج في ٥ ذي الحجة ١٣٨٥هـ، بقوله: "فإذا كانت هذه الدعوة - يا إخواني - تسيء أو لا ترضي بعضهم كالاستعمار والشيوعية والصهيونية، فإنني مطمئن كل الاطمئنان بأن المسلمين سوف لا يلتفتون ولا يدخرون ولا يتخاذلون في سبيل نصرة الحق، وفي سبيل نصرة دينهم، وفي سبيل توحيد كلمتهم والتعاون على البر والتقوى" (٢: ٣٠٨).

ثم يضيف قوله في الخطاب نفسه: "أيها الإخوان، لقد نذرنا أنفسنا لله سبحانه وتعالى، ومن نذر نفسه لا يمكن أن

يتراجع أو يحنث بقوله، فليعترض من يعترض، وليعارض من يعارض، ونحن كما قلت، لا نجاوبهم إلا بالطلب بالهداية لهم، لن ننثني عن سبيلنا بحول الله وقوته" (٢: ٣٠٩).

وقد فطن إلى هذا المعنى أحد الكتاب فأشار إليه بقوله: "وهكذا كان حال الدعوة التي انطلق بها فيصل؛ فما كادت نداءاته إلى المسلمين تعلو حتى هبّ الذين لا يريدون أن يعود العرب والمسلمون إلى سابق وحدتهم وعزتهم وقوتهم، من ملحدين وشيوعيين وأعداء للإسلام، هبّوا يصرخون بأنكر الأصوات، ويتّهمون، ويطلقون الأكاذيب، ويثيرون المشكلات، يريدون أن يطفئوا الدعوة قبل تألّقها، لأنها دعوة تحمل الخطر لهم، ولأن صاحب الدعوة رجل قوي مؤمن عنيد؛ فما حفل فيصل بذلك كلِّه، ومضى بإيمان وعزم في سبيل تحقيق دعوته، غير هيَّاب، يضحِّي براحته، ويتحمل المشاق، فإنما عمله هذا في سبيل الله" (٤: ١٧-١٨).

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أن هذه الدعوة العالمية للتضامن الإسلامي، وجمع شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم، قد احتلت قسمًا كبيرًا من اهتمام وعناية وجهود الملك فيصل خلال فترة حكمه للبلاد؛ الأمر الذي جعلها تطغى على غيرها من الجهود الأخرى التي تميزت بها فترة حكمه سواء في الداخل أو الخارج.

٣ - عقد الندوات والمؤتمرات العالمية:

ضمانًا لتحقيق دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي على المستوى الدولي؛ استلزم الأمر العمل على جمع قادة وزعماء

الدول العربية والإسلامية في مؤتمر عالمي على مستوى القمة، الأمر الذي لم يغب عن فطنة الملك فيصل فسعى إلى ذلك وحرص على تحقيقه انطلاقًا من يقينه التام أن أبناء الأمة الإسلامية هم المعنيون الأساسيون بحمل هم الأمة ورعاية مصالحها وتدارس أوضاعها، وقد أشار إلى ذلك في أحد خطاباته حيث يقول: "كما هو معلوم لدى الجميع فلا يمكن لأي أمة، ولا لأي بلد في العالم، أن تطلب من الآخرين أن يهتموا بأمرها وبمصالحها، بقدر ما تهتم هي بأمرها ومصالحها" (ص ٣٧٨).

ولذلك فإنه لم تكد تمضي ستة أشهر على مبايعته بالملك حتى كان يرأس المؤتمر الإسلامي الكبير الذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ١٥ ذي الحجة عام ١٣٨٤هـ، الموافق ٧ إبريل عام ١٩٦٥م، وهو المؤتمر الذي وجهت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة الدعوة إلى عقده فيها إلى أقطار العالم الإسلامي وعلمائه ورجالاته، وفي هذا المؤتمر الحافل الذي أعاد الحياة إلى مجاريها الأصيلة ألقى جلالته خطابًا إسلاميًا ذا أهمية بالغة. (٨: ٩٤).

ولأن عقد الندوات والمؤتمرات على مختلف الأصعدة كفيل - إذا ما تم استثماره وتوظيفه التوظيف المناسب - بالعمل على جمع شمل الأمة المسلمة، وتوحيد صفوفها، والعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة؛ ألحَّ الملك فيصل في خطاباته على استثمار "مناسبة الحج السنوية" لتدارس أوضاع الأمة الإسلامية وخدمة قضاياها، وهو ما أشار إليه في خطابه

الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يوم ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ بقوله: "... فالواجب علينا جميعًا أن نعالج أدواءنا، وأن ننظر في أمورنا، وأن نتخذ من الفرصة التي حباها الله تعالى للمسلمين، وهي فرصة الحج إلى بيت الله الحرام من كل سنة، منطلقًا للنظر في شؤوننا، وتعقب أدوائنا وعلاجها، وإصلاح أمورنا، والتفقه في ديننا، والقيام بكل ما أوجبه الله علينا لخدمة أمتنا" (٢: ٣٠٠).

كما أنه كان يؤكد في خطاباته على تكرار الاجتماعات واللقاءات التي تعنى بمصالح الأمة الإسلامية، وهو ما أكده في خطابه الذي ألقاه في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي في مقر الضيافة بجدة يوم الإثنين ١٦ المحرم ١٣٩٠هـ، الموافق ٢٤ مارس ١٩٧٠م، وفيه يقول: "أرجو أيها الإخوان أن يكون اجتماعكم هذا فاتحة خير لتعاون المسلمين، وألَّا نكتفي بهذا الاجتماع فقط بل أن تستمر لقاءاتنا واجتماعاتنا وتعاوننا، فيما فيه خيرنا وصلاح أمرنا في ديننا ودنيانا" (٢: ٣٩١).

وليس هذا فحسب، فقد كان يغتنم أي مناسبة يجتمع فيها أبناء الإسلام ليذكِّرهم بواجبهم المستمر تجاه العمل على تحقيق دعوة التضامن والتعاون الإسلامي الذي يسعى لتحقيق الأمن والسلام العالميين، وفي هذا الشأن يقول في خطابه الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ: "إنكم أيها الإخوة في مسعاكم الذي تسعون إليه في سبيل التضامن الإسلامي والتعاون الإسلامي واستهداف ما فيه صالح المسلمين في

دينهم ودنياهم إنما تستهدفون ما فيه خير المسلمين، وكذلك يمكن بهذا الاتجاه وبهذا الهدف أن نحقق للبشرية أجمع ما تهدف إليه من استقرار وأمن وسلام" (٢: ٣٩٩).

٤ - تقديم المساعدات والقروض المالية للمسلمين:

تنفيذًا لدعوة التضامن الإسلامي انفردت حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة الملك فيصل بن عبدالعزيز بتقديم الكثير من المساعدات العاجلة، والتبرعات السخية، والقروض المالية الضخمة، ومد يد العون والمساعدة للمسلمين في كل مكان، سواءٌ أكانت هذه المساعدات والإعانات مقدّمةً للدول العربية والإسلامية، أم كانت مقدمة للمؤسسات والجمعيات ومراكز الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم.

ويأتي من أبرز تلك المساعدات والدعم المادي ما نشرته مجلة (المنهل) في عددها الممتاز الخاص برحلات التضامن الإسلامي عن بعض مآثر الملك فيصل، ومنها ما يأتي: "في أوغندا تبرع جلالته بمليون شلن أوغندي لمساعدة المجلس الإسلامي في أوغندا على إنشاء الإدارة العامة ونفقاته اليومية، كما قدَّم لأوغندا (٧٠٠) ألف ريال سعودي لإصلاح اقتصادياتها. وفي السنغال ساعد جلالته على عمارة المعهد الإسلامي بداكار، بأن قدَّم لهذا المشروع الإسلامي (٧٠٠) ألف ريال عربي سعودي. وفي النيجر ساعد جلالته في تعمير المسجد الجامع بنيامي العاصمة. وفي الخرطوم أسس المركز الإسلامي لنشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا برعاية المملكة. كما قدّم جلالته للأردن الشقيق عونًا إسلاميا مهما؛

إذ قدَّم مختلف الكتب الدينية الراشدة المرشدة، والمصاحف الكريمة، وكميات من البسط والسجاجيد في القرى والأغوار وسكان البادية خلال شهر رمضان ١٣٩٢هـ" (١٠: ١٣٦٠، بتصرف من الباحث).

وعلى الرغم مما كان يترتب على تقديم بعض تلك المساعدات والإعانات الضخمة من تأثير على ميزانية واقتصاد الدولة جراء التزام المملكة بها وعدم تأخرها عن تقديمها؛ إلا أن حكومة المملكة العربية السعودية كانت ترى أن ذلك واجب مفروض عليها، ولا يمكن أن تتخلى عنه أو تتأخر، وهو ما أشار إليه الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي عام ١٣٨٨هـ، بقوله: "وما تفضل به سعادة المحافظ من بعض الهزات التي انتابت اقتصادنا ومواردنا بسبب الأحداث في السنة الماضية، وبعض الالتزامات التي التزمنا بها لبعض إخواننا في البلاد العربية، فنحن حينما نلتزم بهذه الالتزامات لإخواننا لا نشعر ولا يمكن أن نشعر بأننا نمن عليهم بذلك، وإنما هذا واجبنا المفروض علينا أن نشارك إخواننا في السراء وفي الضراء أكثر؛ لأن المشاركة في السراء سهلة" (٢: ٣٧٠).

ومما يؤكد هذا المعنى عند الملك فيصل أنه لم يكن يعد تلك المساعدات التي تقدّم لبعض الدول مجرد معونات؛ وإنما كان يعدها التزامات يفرضها واجب الأخوة في الله تعالى، وهو ما أشار إليه أحد الكتّاب بقوله: "في إحدى جلسات

مؤتمر الخرطوم لملوك الدول العربية ورؤسائها سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وبعد أن أنهى رئيس دولة عربية غنية شرحه لأسباب عجز بلاده عن تقديم ما أسماه بالمعونات لمصر والأردن، اللتين تعرضتا لعدوان الخامس من حزيران، وقف فيصل يقول: نحن نُصر على أن تكون الكلمة المسجلة على جدول أعمال ومحاضر هذه الجلسة التاريخية (التزامات) لا (معونات)؛ لأننا لا ندفع هبةً بل واجبًا" (١١: ١٧).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما تم تقديمه من المساعدات والقروض والدعم المالي المباشر ونحو ذلك من الإعانات والتبرعات في تلك الفترة، قد أسهم إسهامًا واضحًا ملموسًا في رفع المستوى الاقتصادي لتلك الدول، وهو ما يشير إليه أحد الباحثين بقوله: "إن مناصرة القضايا الإسلامية من خلالِ تقديم الدعم المالي المباشر، قد أسهم إسهامًا فاعلاً في توكيد آليات النمو الاقتصادي في العالم الإسلامي" (٥: ١٤٥).

خامساً: الدعوة إلى وحدة الأمة وتعاونها

فقد كان الملك فيصل يدعو في خطبه إلى ضرورة تحديد الوجهة لعمل العاملين، أفرادًا كانوا أو جماعات، وأهمية أن يكون العمل في سبيل الله تعالى، وقائمًا على التكاتف والتعاون بين الجميع لتحقيق الخيرية الدينية والدنيوية، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي المدينة المنورة عام ١٣٨٤هـ، بقوله: "أيها الإخوان: إننا مدعوون إلى العمل في سبيل الله، وفي سبيل أمتنا، وفي سبيل وطننا،

فعلى كل فرد من أفراد الأمة، وعلى كل جماعة، وعلى كل فئة، سواء في الدولة أو في خارج الدولة، أن يسيروا متكاتفين متعاونين فيما فيه خير دنياهم ودينهم، وأن يكونوا مثالاً أعلى في الجد والاجتهاد والإخلاص والأمانة" (٢: ٢٩٤).

كما أنه كان يركِّز في خطاباته على الدعوة إلى تحقيق الوحدة الإسلامية للأمة المسلمة التي لا يمكن أن تتحقق إلا باعتصام الأمة المسلمة في كل مكان بالقرآن الكريم، وسنة النبي الأمين ﷺ وقد أشار إلى هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي عام ١٣٨٨هـ، بقوله: "وإنني بصفتي فردًا مسلمًا أدعو إخواني المسلمين وإن كنت لست في حاجة إلى دعوتهم لأنهم في الحقيقة يشعرون بما نشعر به - يألمون لما يؤلمنا ويسرون لما يسرنا - فإنني أدعوهم جميعًا أن يعتصموا قبل كل شيء بحبل الله، وأن نخلص جميعًا لله سبحان وتعالى مؤمنين بهذا الإخلاص، وأن نتكاتف ونتعاون لاسترداد كرامتنا ومقدساتنا" (٢: ٣٧٠-٣٧١).

ومع أن دعوة الملك فيصل لوحدة الأمة الإسلامية كانت دعوة عالمية واضحة وصريحة؛ إلا أنها لم تكن دعوة حزبية أو قومية أو عرقية أو عدوانية، ولكنها دعوة شرعية وإنسانية تهدف إلى رد الظلم والطغيان والعدوان، والدفاع عن النفس، وضمان الحقوق المشروعة، وهو ما أورده في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال السنوي لمؤسسة النقد السعودي عام ١٣٨٨هـ، بقوله: "ومع ذلك فإنني أؤكد وأكرر أننا كمسلمين لا

نريد الضرر ولا الاعتداء على أي أحد غيرنا، ولكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نقر العدوان علينا ولا أن تهضم حقوقنا" (٢: ٣٨٣).

ويكرر الدعوة نفسها في خطاب آخر ألقاه في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي بمقر الضيافة في جدة بتاريخ ١٦ من محرم ١٣٩٠هـ، بقوله: "ونحن في عملنا وفي تعاوننا وفي تعاضدنا لا نقصد شرًا بأحد، ولا نريد إلا كل خير، ولكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نقر الشر فينا، ولا الاعتداء علينا، فالدفاع عن النفس مشروع في كل الشرائع" (٢: ٣٩٠).

وعلى الرغم من المعاناة العظيمة والمصاعب التي واجهها الملك فيصل في دعوته تلك، إلا أنه لم يتوقف، ولم يستسلم أو تضعف عزيمته، بل استمر في العمل الجاد المنطلق من اعتماده على الله تعالى ثم إيمانه بأنه على الحق والصواب، فكان له ما أراد، وهو ما أشار إليه أحد الكتّاب بقوله: "لقد كان فيصل بطل دعوة التضامن، ولقد لقي في دعوته هذه مصاعب لا تحدّ، ومتاعب لا توصف، لكنه كان مؤمنًا حقًا فيما يدعو إليه. ما كان يبغي زعامةً ولا شهرة، ولا سلطانًا أو ثروة، فتابع سيره في دعوته بذكاء وحذر، وجرأة وعناد، وحكمة ومرونة، حسب الظروف، واستطاع أن يبلغ هدفه، وأن ينتصر"(٤: ٦).

سادساً: الاعتراف بالخطأ ومحاسبة الذات

وهو ملمح واضح وصريح في مجموع الخطب الفيصلية، حيث كان يؤكده ويكرره في مختلف المناسبات؛ إيمانًا منه

بأهمية مراجعة النفس ومحاسبتها على ما قد يحصل من التقصير أو النقص أو نحو ذلك، وقد أشار إلى هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي عام ١٣٨٨هـ، حيث قال: "والواجب علينا في مثل هذه الظروف وهذه الأحوال؛ ألاّ نخفي رؤوسنا في التراب، وندَّعي أننا مجردون أو منزّهون عن الأخطاء، ويجب علينا أن نعترف بأخطائنا ونواقصنا، وأن نستفيد مما حل بنا للرجوع عن هذه الأخطاء ولإكمال التقصير الذي فعلناه حتى يكون مستقبلنا - بحول الله وقوته - زاهرًا ومبشرًا بالخير" (٢: ٣٦٦).

كما أنه كان يرى أن الأمر لا ينبغي أن يقف عند مجرد الاعتراف بالأخطاء؛ فالواجب يفرض على الجميع أن يمتدَّ إلى ضرورة مجاهدة النفوس لتطهيرها وتزكيتها، وهو ما أشار إليه في خطابه السنوي التكريمي لضيوف بيت الله الحرام في ٦ ذي الحجة ١٣٨٨هـ، بقوله:"وهذا يوجب علينا قبل كل شيء أن نجاهد أنفسنا حتى نطهرها من الأدران، ومن العقائد الفاسدة، ومن التيارات الهدّامة التي عصفت بنا وفرّقتنا شعوبًا وفئات متناحرة متناثرة يتآمر بعضنا ضد بعض، ويدس بعضنا لبعض، ونستنزف قواتنا وإمكانياتنا في محاربة بعضنا بعضًا" (٢: ٣٧٦).

وليس هذا فحسب؛ فقد كان يرى أن ما أصاب الأمة المسلمة من المصائب والنكبات ليس إلاّ نتيجةً لتقصيرها في مراجعة نفسها والتفريط في حق الله عليها؛ الأمر الذي

جعله كثيرًا ما ينادي في خطبه إلى أهمية محاسبة النفس، وضرورة مراجعتها بين الحين والآخر، ومن ذلك ما جاء في خطابه الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ، حيث قال: "أيها الإخوة: يجب علينا أن نعود إلى أنفسنا، وأن نحاسب أنفسنا، لماذا تصيبنا هذه النكبات؟ ولماذا نتعرض لهذا العدوان من أعداء الإسلام وأعداء البشرية وأعداء الإنسانية؟! فعلينا أن نحاسب أنفسنا فلا بد أن هناك في أنفسنا ما استوجب أن نصاب بهذه النكبات" (٢: ٣٩٦).

وهنا يمكن ملاحظة أنه عندما يطرح هذه التساؤلات فإنما هو يستحث أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان على أهمية النظر في واقعهم المؤلم، والحرص على العمل الجاد لتصحيح ما هم فيه من أخطاء وتقصير من خلال مراجعة أنفسهم، والعودة الصادقة إلى التمسك بتعاليم وتوجيهات دينهم الذي فيه عزهم وكرامتهم، وهو ما أكدّه في الخطاب نفسه بقوله: "أيها الإخوة، إننا بحاجة قصوى إلى محاسبة أنفسنا، ويجب علينا أن نعود إلى كياننا، وإلى قوتنا، وإلى عزتنا التي أرادها الله لنا سبحانه وتعالى؛ فبهذه العودة إلى عقيدتنا، والإيمان بالله بإخلاص وعزيمة، يمكننا أن نستعيد عزتنا ومكانتنا وكرامتنا" (٢: ٣٩٦-٣٩٧).

سابعًا: رفضه لعبارات المديح والألقاب

مما يميز الملك فيصل بن عبدالعزيز أنه صاحب شخصية متواضعة، وكان يعد نفسه في المقام الأول أحد أفراد شعبه

الذي يحكمه، وهو ما يشير إليه في إحدى خطبه بقوله: "فإنني أعد نفسي فردًا من أفراد الشعب العزيز" (٢: ٣٣٦).

كما أنه أكّد هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في الحفل التكريمي الذي أقامه الحرس الوطني يوم الأحد ٢٣ رجب ١٣٨٦هـ، الموافق ٦ نوفمبر ١٩٦٦م بقوله: "وإنني أيها الإخوة والأبناء لا أتحدث إليكم بصفتي رئيسًا ولا قائدًا، وإنما أتحدث إليكم بصفتي أخًا ومواطنًا يشارككم مشاعركم ويتحسس كل ما تحسون به، وإذا جاز لي القول، فإنني سبق لي في حياتي أن زاملت قسمًا من آبائكم وإخوانكم، وكنا بحمد الله جنودًا لدين الله" (٢: ٣٢٩).

وعلى الرغم من المكانة المرموقة، والحب الكبير الذي كانت تحظى به شخصيته بين أفراد شعبه؛ إلا أنه كان يرفض كل عبارات المديح والإطراء التي كانت تلوكها الألسنة في مختلف المناسبات، ولا يقبل تلك الألقاب والتسميات التي كانت تطلق عليه من الآخرين، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في احتفال أهالي مدينة الرياض بمناسبة مبايعته ملكًا على البلاد عام ١٣٨٤هـ، بقوله: "أيها الإخوة، لي ملاحظة بسيطة أرجو من إخواني أن يقدروها حقّ قدرها؛ فإنه تكرّر على سمعي لفظ (صاحب الجلالة) و(الجلوس على العرش) وما أشبه ذلك، وإنني أرجو منكم أيها الإخوة، أن تعتبروني أخًا وخادمًا في الوقت نفسه" (٢: ٢٩٠).

وكان يبرر رفضه ذلك بما تنطوي عليه بعض تلك الألقاب والتسميات من مخالفات عقدية، ولكونها من الصفات

الدخيلة على مجتمعنا الإسلامي المحافظ، وهو ما أشار إليه في الخطاب نفسه بقوله: "إن الجلالة لله سبحانه وتعالى، وإن العرش هو عرش رب السموات والأرض، وإن هذه الكلمات وهذه الصفات دخيلة علينا في ديننا وفي لغتنا، ولست في ذلك متملقًا ولا منافقًا بحول الله وقوته، ولكنني أقول لكم ما أشعر به؛ فإنني حينما أسمع كلمة (صاحب الجلالة) و(الجالس على العرش)، فإنني أتأثر من ذلك أشد التأثر؛ لأنني بشر، وكل بشر يجب أن يكون عبدًا لله ذي الجلال والإكرام" (٢: ٢٩١).

كما أنه أكّد هذا المعنى المتمثل في رفضه لبعض التسميات والألقاب التي كانت تطلق عليه في مناسبات مختلفة في خطابه الذي ألقاه في الجامعة الإسلامية خلال زيارته للمدينة المنورة يوم ٦ ذي القعدة ١٣٨٤هـ بقوله: "ولي ملحوظة بسيطة أحب أن أقدمها للأخ نائب الرئيس، فقد تفضل وقال عني بأنني أمير المؤمنين، وأني كذا وكذا. فأرجو أن يتقبل مني هذه الملحوظة؛ فإنني لست في درجة من سلفوا من أمراء المؤمنين، ومن الخلفاء المسلمين، وإنما أرجو أن يعتبرني هو وإخواني وكل من أتشرف بخدمتهم أن أكون خادم المسلمين، وخادم المؤمنين، وهذا أشرف ما يكون" (٢: ٢٩٧-٢٩٨).

وليس هذا فحسب، فقد كان يرفض أن يوصف ببعض الأوصاف التي يرى أن فيها مخالفةً للواقع أو مجانبةً للصواب، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في افتتاحه لطريق (الدمام - الرياض - مكة المكرمة) يوم ٢٠ ذي القعدة ١٣٨٦هـ،

الموافق الأول من مارس ١٩٦٧م، بقوله: "... وإنما إذا سمح لي الإخوان الذين تقدموني بالكلمات لي ملاحظة فقط، بل ومن غيرهم دائمًا أسمع من يتكلمون أو يعلقون بقولهم: "إرادة فيصل"؛ فإنني أرجو من إخواني ألاّ ينزلقوا في هذا الاتجاه فإن الإرادة إرادة الله سبحانه وتعالى، فإذا كان المولى - عز وجل - منّ على إنسان وأكرمه وشرّفه بأن يقوم بعمل خير لدينه ووطنه وأمته؛ فإن ذلك يقتضي الشكر لله تعالى، وليس النجاح أو الإطراء أو المديح" (٢: ٣٣٦-٣٣٧).

والاتفاق على تمتع فيصل - رحمه الله - بتلك الصفة حاصل بين الكتاب، إذ يقول أحدهم: "لقد غضب الفيصل عندما وصفه أحد الخطباء بحامي الحرمين؛ فما كان منه إلا أن أجاب بقوله: حامي الحرمين الله، فالفيصل ما هو إلاّ خادم الحرمين الشريفين". ويضيف قوله: "لقد كان الملك فيصل طيّب الله ثراه يتأثر من الكلمات التي تشعره بالعظمة، فهو يرى أن كل إنسان يجب أن يكون عبدًا لله سبحانه وتعالى، والعبودية لله سبحانه وتعالى تقتضي التذلل والخضوع له" (٦: ١٩).

ثامنًا: تحديد معالم السياسة الخارجية للدولة

اشتملت خطب الملك فيصل على تحديد دقيق لمعالم السياسة الخارجية للدولة، حيث جاءت هذه المعالم امتدادًا وتأكيدًا للمبادىء التي قامت عليها العلاقات الخارجية للمملكة منذ تأسيسها.

وقد أشار الملك فيصل إلى هذه المعالم في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "وإننا - أيها الإخوة - مع إخواننا العرب في كل ما يهمهم، وفي أي قضية أو مشكلة تعرض لهم، وسنكون بعون الله وقوته في المقدمة لا في المؤخرة" (٢: ٣٠٣).

وجاء في الخطاب نفسه قوله: "إن سياستنا الإسلامية لا تخرج عمّا قدمت، ونحن مع إخواننا المسلمين في كل قطر وفي أي مكان، ونسعى بكل ما أوتينا من قوة لتوحيد صفوف المسلمين، وزيادة التقارب بينهم، وإزالة كل ما يشوب علاقاتهم من خلافات أو مؤثرات" (٢: ٣٠٣)، ثم يضيف قوله: "أما سياستنا الدولية فإننا عضو في هيئة الأمم المتحدة، ونحترم ميثاقها، وننظر إلى العدل والحق فيما يعرض على الهيئة العامة، ونحن في موقف حيادي فيما تتعرض له الكتل الكبرى من مشكلات ومطاحنات واختلافات؛ ولكننا في الوقت نفسه نؤيد ما نراه ونعتقد أنه الحق، وعلى الأخص فيما يتعلق في مصلحة البشرية" (٢: ٣٠٣).

واللافت للنظر أن هذه المعالم للسياسة الخارجية ظلت ثابتةً وغير متغيرة، وشاهد ذلك تكراره الدائم لها، وتأكيد التزامها بعد مرور عشر سنوات من إعلانها، وهو ما جاء في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي الرياض بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه مقاليد الحكم في البلاد، الذي يقول فيه: "ومن أهم أهداف سياستنا الخارجية المعروفة، التعاون

إلى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة، وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين، والسعي إلى تحرير جميع أجزاء الوطن العربي التي لا تزال تحت الاستعمار، والسير مع الدول الإسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شأنهم. ونؤيد ميثاق الجامعة العربية وندعمه ونسنده، ونؤيد ميثاق الأمم المتحدة، ومقررات مؤتمر (باندونج) ودول عدم الانحياز، ونسعى بكل ما أوتينا من قوة إلى أن يسود العالم سلام عادل، وحرية حقيقية، وطمأنينة دائمة" (٢: ٤١٦-٤١٧).

ومما سبق، يمكن تقرير أن خطابات فيصل - رحمه الله - خَطَّت أبرز معالم السياسة الخارجية التي ستسير عليها بلاده، كما يمكننا القول إنها تدور في مجملها حول ثلاثة جوانب رئيسة، وهي على النحو التالي:

الجانب الأول: العلاقة بالدول العربية الشقيقة

وهي علاقة تقوم على مبدأ الأخوة العربية مع هذه الدول، والتعاون المستمر معها إلى أقصى الحدود. ومطالبتها بالوحدة القائمة على المحبة والاحترام المتبادل، وتحقيق الوفاق المطلوب بينها، وفي ذلك يقول: "وكل ما نرجوه من إخواننا العرب أن ينظروا إلينا نظرة أخوة ومحبة، وألا يكونوا مصدر أذى أو متاعب لنا" (٢: ٣٠٣).

كما أشار الملك فيصل إلى بيان تفاصيل هذه العلاقة ومقوماتها في خطابه الذي ألقاه في المهرجان الشعبي الذي أقيم في الرياض بمناسبة عودته بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، وفيه يقول: "أما من الناحية العربية فنحن دعونا

إخواننا العرب أن يتصافحوا، وأن يتلاقوا بروح أخوية، وبمحبة وإخلاص، وأن يحترم كل منهم الآخر، وأن يمنع من التدخل في شؤونه الداخلية، وأن يحصر كل جهوده في أن يبني بلده، وأن يجلب الرخاء والسعادة والاطمئنان لشعبه، فهذا كل ما نريده من إخواننا العرب" (٢: ٣٢٤).

كما أشار إلى المعنى نفسه في خطاب آخر ألقاه في الحفل التكريمي الذي أقامه الحرس الوطني يوم الأحد ٢٣ رجب ١٣٨٦هـ، بقوله: "ليس لنا أي هدف، أو أي غرض، أو أي مطمع؛ إلا أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، وأن تكون يد العرب واحدة، وتكون أمةً واحدة تدافع عن نفسها، وتخدم شعوبها فيما فيه صالحها، ونهضتها، وتطويرها، وبنيانها. هذا كل ما نريد" (٢: ٣٣٤-٣٣٥).

الجانب الثاني: العلاقة بالدول الإسلامية

وهي علاقة قائمة على مبدأ الأخوة الإسلامية، وتنطلق من المنطلقات الدينية التي جعلت من المسلمين أمة واحدة في أي زمان أو مكان، ولذلك فإن المملكة ستكون مؤيدة لقضايا أبناء الإسلام في أي مكان من العالم. وهو ما جاء في خطابه الذي يقول فيه: "إن المملكة العربية السعودية شعبا وحكومة ستؤيد إخوانها في كل قطر من أقطار الأرض، وإننا لنأمل من إخواننا المسلمين أن يشد بعضهم أزر بعض لما فيه خير دينهم ودنياهم" (٢: ٣٠٢).

وقد حرص الملك فيصل على جعل تلك العلاقة في مقدمة اهتماماته لتوحيد الصف الإسلامي، وزيادة التقارب بين

الدول الإسلامية؛ في سبيل تحقيق التضامن الإسلامي الذي يكفل للدول والشعوب الإسلامية العزة والرفعة والعدالة والسلام والحرية، وهو ما أعلنه في خطابه الذي ألقاه في قصر الضيافة في (باماكو) عاصمة دولة مالي في أثناء لقائه وفد علماء جمهورية مالي في جمادى الآخرة عام ١٣٨٦هـ، بقوله: "وإننا بحول الله وقوته، واستنادًا إلى عقيدة المسلمين وإيمانهم بربهم، ماضون في طريقنا في التضامن والتكاتف مع إخواننا المسلمين في كل بقاع الأرض، لتحقيق العدالة الاجتماعية التي يحض عليها الإسلام، وفي محاولة لتحقيق السِلم والحرية لجميع الشعوب المتطلعة إلى السلم والحرية" (٢: ٣١١).

كما أنه كان شديد العناية بأن تكون علاقة المملكة العربية السعودية بالدول الإسلامية علاقة إيجابية وعملية في مختلف المجالات والميادين، وأن تقوم على تبادل المنافع بينها، وأن تحقق خدمة أبناء الإسلام ومصلحتهم العامة، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في الحفل الذي أقامه الرئيس الإندونيسي سوهارتو تكريمًا له أثناء زيارته لإندونيسيا عام ١٣٩٠هـ، بقوله: "وإنني لأؤكد لفخامتكم أننا بحول الله وقوته عازمون على توثيق عرى التعاون والمحبة والأخوة بين بلدينا وبين الكل، لنتمكن من تمهيد سبل تبادل المنافع الاقتصادية والتجارية والثقافية، وتوحيد الهدف لما فيه صالح ديننا وأمتنا ووطننا إن شاء الله" (٢: ٣٩٤).

الجانب الثالث: العلاقة ببقية الدول في العالم

وهي علاقة تقوم على تأييد واحترام المواثيق الدولية الداعية إلى تحقيق السلام العالمي العادل، والتعاون مع المجتمع الدولي لخدمة المصالح الإنسانية المشتركة، وهو ما أشار إليه الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي الرياض بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه مقاليد الحكم في البلاد، وفيه يقول: "فنحن منذ أسس هذه الدولة بانيها وواضع أساس نهضتها المغفور له الملك عبدالعزيز، قد أثبتنا في المجال الدولي إيماننا بالسلام العالمي، ورغبتنا في تحقيقه وتقويته ونشره في ربوع العالم، وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحي من تعاليم ديننا وتقاليدنا العربية الأصيلة" (٢: ٤١٦).

كما أن من أبرز ملامح علاقة المملكة الدولية أنها تحرص دائمًا على التزام الحياد فيما يخص التحالفات والمعسكرات الدولية الكبرى، وهو ما أشار إليه الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة في ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، بقوله: "ونحن في موقف حيادي فيما تتعرض له الكتل الكبرى من مشكلات ومطاحنات واختلافات، ولكننا في الوقت نفسه نؤيد ما نراه ونعتقد أنه الحق، وعلى الأخص فيما يتعلق بمصلحة البشرية" (٢: ٣٠٣).

وليس هذا فحسب، بل إن علاقة المملكة العربية السعودية ببقية دول العالم كانت تقوم في بعض جوانبها على الصداقة، والعلاقات الطيبة، واستمرار التعاون المتبادل في مختلف

المجالات وجميع الأصعدة، وهو ما أشار إليه الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه في جمعية الصداقة السعودية اليابانية في ٢٧ ربيع الأول ١٣٩١هـ، بقوله: "تتمثل الصداقة والعلاقات الطيبة بين بلدينا وشعبينا في هذه الجمعية التي تكرِّس جهودها لتأكيد وبناء هذه الصداقة على أسس متينة لما فيه صالح البلدين والشعبين" (٢: ٤٠٣).

وهنا يمكن القول: إن خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز كانت تحرص على تحديد المعالم الرئيسة لسياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية مع غيرها من الدول، سواء أكانت عربية شقيقة، أم إسلامية، أم غيرهما من بقية دول العالم الأخرى. وقد أشار إلى هذا المعنى أحد الكتّاب في حديثه عن سياسة الملك فيصل الخارجية بقوله: "هناك مبادئ عامة أعلن عنها فيصل بالنسبة إلى جميع الدول على السواء: ١- احترام سيادة كل دولة. ٢- عدم التدخل في شؤونها الداخلية. ٣- عدم الانحياز في الشؤون الدولية. ٤- الدعوة إلى السلم، والعمل من أجله" (٣: ٢٢٤).

ونخلص مما سبق إلى القول بأن معالم السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية تؤكد حفاظها على المبادئ الأساسية التي قامت عليها الدولة منذ تأسيسها؛ إلا أنها قد أخذت اتجاهًا متميزًا في عهد الملك فيصل، وهو الاتجاه الواضح المعلن الذي يؤكده خطاب الملك فيصل في المهرجان الشعبي الذي أقيم في الرياض بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٨٦هـ، وفيه يقول: "ونحن جميعًا نصرِّح بسياستنا، لا يهمنا

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون

أن يغضب الغرب، أو أن يتكدر الشرق؛ فإن الشرق والغرب اتفقوا على هضم حقوق العرب وسلبهم أراضيهم المقدّسة" (٢ : ٣٢٥).

والمعنى أن موقف المملكة العربية السعودية كان قائمًا على الصراحة والصدق، والسعي لمصلحتها ومصلحة العرب والمسلمين، واتباع أسلوب الدبلوماسية الهادئة، والمرونة السياسية التي نجح الملك فيصل من خلالها في صنع ما يمكن تسميته بالدبلوماسية السعودية التي جعلت للمملكة أثرًا كبيرًا وفاعلاً، وثقلاً خاصًا في صنع القرار السياسي العالمي، وهو ما عبّر عنه أحد الباحثين بقوله: "ولقد تطورت السياسة الخارجية السعودية منذ الستينيات، أي في عهد الملك فيصل في اتجاه أكثر انفتاحًا على العالم الخارجي، وأصبح لها دور مؤثر وفعال في المجال الإقليمي المحيط بها سواء في منطقة الجزيرة العربية، أو في عالمنا العربي ككل، بل امتد دورها الخارجي إلى التأثير على الموقف الاقتصادي العالمي" (١ : ١١).

تاسعاً: التحذير من خطر الصهيونية العالمية

لا تكاد تخلو خطبة من خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز في الغالب - من التحذير من خطر الصهيونية العالمية، والتنبيه على مخططات اليهود ومكرهم، وكشف دعاواهم ومزاعمهم الباطلة التي يرفضها الجميع، والتي لا يقبلها عقل سليم ولا منطق سديد، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في احتفال مؤسسة النقد السعودي عام ١٣٨٨هـ،

بقوله: "الصهيونية ليست صديقة الشرق ولا الغرب، ولا صديقة أحد، وحتى بنيها من اليهود فيهم من يعارض ويشجب سياسة الصهيونية، ويقول: إن هذه ليست من مصلحة اليهود أنفسهم" (٢: ٣٧٩-٣٨٠).

كما أنه كان يوجه النداءات عبر خطاباته الرسمية إلى جميع دول العالم ومن فيها من المسؤولين والساسة للتنبّه لخطر الصهيونية العالمية وأهدافها، والعمل على إيقافها، والحد من مخاطرها ومشكلاتها، وهو ما أورده بقوله: "ولكن على العالم اليوم أن يتنبّه ويفكِّر ويفهم مراد الصهيونية وأهدافها التي لا تقف عند حد، ويجب أن يقال لهم قفوا عند حد، وبدون هذه سوف لا تنتهي المشاكل في العالم؛ فكل مشكلة في العالم شرقًا وغربًا أو في وسطه إذا بحث الإنسان بدقة وبخبرة يجد أن هذه المشكلات لا بد أن يكون للصهيونية فيها يد بصفة مباشرة أو غير مباشرة. فنرجو إن شاء الله من المسؤولين في العالم أن يتنبهوا لهذه الحالة، وأن يأخذوا على أيدي المجرمين والطغاة، وأن يوقفوهم عند حدهم لمصلحة البشر" (٢: ٣٨٠).

وليس هذا فحسب؛ فقد كان يعد الصهيونية مصدرًا وأساسًا لمختلف المبادئ الفكرية الهدّامة التي انتشرت في العالم، فأصبحت وسيلة من وسائل الصهيونية العالمية للهيمنة والسيطرة على العالم من خلال تحطيم مختلف المعتقدات، وتخريب وإفساد المجتمعات، وإشاعة الفوضى، والرذيلة، والانحلال الأخلاقي بين أبنائها، وهو ما أشار إليه

في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال السنوي لمؤسسة النقد السعودي عام ١٣٨٨هـ، وفيه يقول: "الشيوعية جاءت من الصهيونية، المبادئ الهدّامة جاءتنا من الصهيونية، التفسخ الخلقي جاءنا من الصهيونية، الخروج على كل المبادئ وكل التقاليد وكل الأعراف وكل الآداب وكل الكرامة والشرف جاءت لنا من الصهيونية؛ فإذن هي أم الخبائث، وهي الأساس والسبب لذلك" (٢: ٣٨٥).

كما أنه كان يدرك مدى خطورة ما تخطط له الصهيونية العالمية من نشر للمبادىء الهدامة، التي تسعى من خلالها إلى تحقيق هدفها الأكبر، والمتمثل في السيطرة على العالم، وتحقيق أطماعها التوسعية، وتنفيذ مخططاتها الاستعمارية، وهو ما أورده في الخطاب الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام بمكة المكرمة عام ١٣٩٠هـ، وفيه يقول: "لم يعد خافيًا على أحد اليوم ما تخطط له الصهيونية العالمية من محاولة سيطرتها على العالم؛ فلقد خططت من سنين طويلة، ولكنها لم تنجح، ولسوء الحظ أنها بتخطيطها الأخير نجحت.

نجحت حينما أطلقت على العالم هذه المبادئ الهدّامة، وهي المبادئ الملحدة الشيوعية، وما يتفرع عنها من اتجاهات ومن مذاهب، ولسوء الحظ أن الصهيونية العالمية تمكنت بنشر هذه المبادئ من أن تصل - إلى حد ما - إلى كثير من أهدافها وغاياتها.

وهذه الأهداف تستهدف تحطيم كل المعتقدات، وتحطيم كل القوى البشرية، وإشاعة الفوضى، والتنابذ، والتحلل الخلقي لجميع شعوب العالم لتصل إلى غايتها، وهي السيطرة على العالم الذي لم تتمكن من أن تصل إليه بقوتها وقدرتها فسعت سعيها الحثيث إلى أن تضلل العالم، وأن تسوقه إلى ما فيه شره والقضاء عليه" (٢: ٣٩٧).

وبعد؛ فإن ما قام به الملك فيصل من تحذير وتنبيه وتوعية للأمة من مخاطر الصهيونية العالمية وغيرها من المذاهب والمبادئ الهدّامة، ليس إلا دليلاً على حكمته وبعد نظره، وحرصه على تقديم واجب النصح لأمته، وهو ما أكدّه أحد الكتاب بقوله: "التحذير والنصح من واجبات الزعيم المخلِص والإمام الصالح، وما فتىء فيصل يحذِّر المسلمين وينبههم إلى الأخطار المحدقة بهم، ولم يكتف بأن يعلن أن الصهيونية والشيوعية عدوتان للإسلام والمسلمين؛ بل أخذ يحذِّر العرب منهما، لأنهما مصدر المتاعب في عالمنا" (٤: ٣٣).

المحور الثاني: دور خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز في البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر

يعتمد البناء الحضاري للمجتمعات المعاصرة على العديد من العوامل والمعطيات التي تشترك جميعها في تحقيق متطلبات تنمية الفرد والمجتمع، وترجمتها إلى واقع مشاهد وملموس يمكن من خلاله دفع عجلة التقدم والتطور الحضاري للمجتمع.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثاني ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون

ويأتي في مقدمة هذه العوامل والمعطيات القيادة الحكيمة التي تمثلت في شخصية الملك فيصل بن عبدالعزيز، الذي أسهم بدور فاعل ورئيس في قيام الدولة السعودية المعاصرة أميرًا، ووليًا للعهد، ثم ملكا للبلاد، وهذا يعني أنه عقل الدولة والمفكر منذ شبابه وحتى شيخوخته.

وباستعراض خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - وتحليلها؛ أمكن التوصل إلى أن لتلك الخطب دورًا فاعلاً ورئيسًا في عملية البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر، وهو ما يمكن الإشارة إليه من خلال الجوانب التالية:

أولاً: الإيمان بالله تعالى أساس البناء الحضاري

إذا كان الإيمان بالله تعالى، والتمسك بالعقيدة الإسلامية منطلقًا أساسًا، وموجِّهًا رئيسًا لخطب وفكر وسلوك الملك فيصل بن عبدالعزيز؛ فإنه مع ذلك جانب مهم وضروري بالنسبة لعملية البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر، حيث إنه يعد أساسًا للبناء والتقدم والنهوض الحضاري، وقد أشار الملك فيصل إلى هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه خلال زيارته الملكية للمدينة المنورة يوم ٦ ذي القعدة ١٣٨٤هـ، بقوله: "الشريعة الإسلامية هي أصلح ما يكون للبناء، البناء الذي يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة" (٢: ٢٩٦).

كما أنه قد أكَّد هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في الحفل السنوي لتكريم بعثات الحج لعام ١٣٨٥هـ، يوم الخامس من شهر ذي الحجة ١٣٨٥هـ، بقوله: "إن الإسلام هو

دين الحق، دين الأخوة، دين السلام، دين القوة، ودين العلم، دين البناء، دين التقدم، دين الفضيلة، لم تبق فضيلة ولا مكرمة إلا ودعا إليها، ولم تبق رذيلة إلا وحذّر منها" (٢: ٣٠٧).

وهو ينكر على من يصف الشريعة الإسلامية بالنقص أو عدم صلاحيتها وملاءمتها للعصر، بقوله في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ، بقوله: "فمن يقول إن الشريعة الإسلامية فيها نواقص، أو فيها مآخذ؟ من يقول هذا فإما أن يكون جاهلاً جهلاً مركّبًا لا يفهم شيئًا، أو أن يكون مكابرًا مغالطًا يريد أن يطمس الحق، وأن يضلل بالباطل" (٢: ٣٩٩).

وليس هذا فحسب، فقد تجلت ثقافة فيصل ووعيه وبما كتبه الآخرون من غير المسلمين عن عظمة الدين الإسلامي، وأنه أساس متين لعملية البناء الحضاري المعاصر، وكان يستشهد بأقوالهم في ذلك. يقول في خطابه الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ: "ذكر بعض الكتّاب الفرنسيين في مؤلف له، فقال: إننا جرَّبنا الرأسمالية ووجدنا ما فيها من نواقص ومفاسد وأخطاء، وجرَّبنا الشيوعية ووجدنا ما فيها من تحطيم وهدم وفساد؛ فلم يبق أمام العالم اليوم إلا أن يلتمسوا في التشريع الإسلامي ما ينقذهم من المأزق الذي هم فيه" (٢: ٤٠٠).

من هنا فإن جانب الإيمان بالله تعالى في خطب الفيصل كان واضحًا وجليًا، وهو ما أكدّه أحد الكتاب بقوله: "ولا نكاد نجد خطبةً من خطبه إلا وفيها إشارات وتوجيهات واضحة

تدل على عمق إيمانه، وتمسكه بأحكام دينه، وزهده في المظاهر، وحثه السامعين على اتباع شريعة الله، وحرصه على رفع راية الإسلام، والعمل على مصلحة المسلمين" (١٢: ٢٠).

ثانياً: الأمن والاستقرار لازم للبناء الحضاري

إن عملية البناء الحضاري للمجتمعات لا يمكن أن تتحقق ما لم تتوافر لها مجموعة من العوامل التي يأتي في مقدمتها توافر الأمن والاستقرار، وهو ما لا يمكن أن يتحقق بغير تطبيق الشريعة الإسلامية، وتحقيق معنى الإيمان الصحيح في مختلف شؤون الحياة، وهو الأمر الذي حرص عليه الملك فيصل وعمل على تحقيقه والدعوة إليه من خلال خطبه التي منها خطابه الذي ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف الرحمن عام ١٣٩٠هـ، وفيه يقول: "أيها الإخوان، لست في حاجة إلى أن أذكِّركم بما يجب أن نكون عليه من إيمان، وإخلاص، وتمسك بعقيدتنا وشريعتنا؛ فإننا إذا أردنا أن نحوز على الخير كله دينًا ودنيا، فعلينا أن نتمسك بهذه العقيدة، ونتبع ما أنزله سبحانه وتعالى على نبيه، وما سنه نبيه. فإننا بهذا يمكن أن نضمن لأنفسنا حياةً طيبةً، وكرامةً مصانةً، وعزا من الله سبحانه وتعالى... ولكن المهم أن نكون مؤمنين حقًا، فإذا ضمنا ذلك، فإننا بحوله تعالى نضمن النصر، ونضمن الأمن، ونضمن الرخاء، ونضمن الكرامة لنا ولشعوبنا" (٢: ٣٩٥-٣٩٦).

وهنا يمكن أن نلمح بعد النظر في الرؤية الفيصلية لهذا الشأن؛ إذ إن المعنى يشير إلى أن التمسك بالعقيدة

الإسلامية وتطبيق تعاليم الدين سبيل إلى توافر الأمن والاستقرار في البلاد، وهي إلى جانب ذلك ستكون - بإذن الله تعالى - وسيلة لتحقيق الحياة الطيبة والكرامة والرخاء، كما أن ذلك كفيل بأن يكون سببًا رئيسًا في نجاح واستمرارية عملية البناء الحضاري وتحققها على الوجه المطلوب، انطلاقًا من كون الأمن والاستقرار الداخليين سيدفعان جميع أفراد المجتمع إلى العمل والبناء، وسيفرغهم للتطوير والتنمية، وهو ما أورده الملك فيصل في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي الرياض بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه مقاليد الحكم عام ١٣٩٤هـ، وفيه يقول: "ولكنا نؤكد لكم أنا - وقد منحنا الله نعمة الاستقرار - سنضاعف الجهد نحو تحقيق أهدافنا الإصلاحية في جميع مجالاتها السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية" (٢: ٤١٦).

ولما لهذا الجانب من أهمية بالغة في تحقيق البناء الحضاري للمجتمع السعودي؛ حرص الملك فيصل على توفيره مستعينا بالله تعالى ثم معتمدا في تحقيقه لذلك الجانب على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهو ما أشار إليه أحد الكتاب بقوله: "ولا نكاد نجد دولةً من الدول العربية كافة استتب فيها الأمن كما استتب في السعودية، فالدولة مسؤولة عن تطبيق الحدود الشرعية، فاستراح الناس وأراحوا" (٣: ١٧٤).

ثالثًا: تحقيق العدل وتكافؤ الفرص

وهو ما يستهل به الملك فيصل أول خطاب له عند توليه الحكم عام ١٣٨٤هـ، فيتعهد فيه بالعمل على تحقيق وإقامة العدل، وتحريه بين أفراد رعيته وشعبه، وفيه يقول: "ولكم عليَّ أن أعدل بين صغيركم وكبيركم، وأن أطرفكم (أي أبعدكم) مساو لأقربكم إليّ في الحق. وإنني - بحول الله وقوته - سائل المولى - سبحانه وتعالى - أن يقدرني على أن أكون عند حسن ظنكم، وأن أخلص لله سبحانه وتعالى، وأن أعدل في معاملتي بين أهلي وأسرتي وإخوتي" (٢: ٢٩٠).

ويأتي ذلك الشعور عند الملك فيصل بأهمية تحقيق العدل انطلاقًا من كون الدين الإسلامي هو دين العدل، وقد أكد هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في الحفل الذي أقامه الرئيس سوهارتو تكريمًا لجلالته في أثناء زيارته لإندونيسيا عام ١٣٩٠هـ، بقوله: "إن الإسلام دين الحق والعدالة، ودين القوة، ودين العدل، وكل من يقول خلاف ذلك فإنما هو واحد من اثنين: إما أن يكون جاهلاً بقواعد الإسلام وتشريعه، أو يكون مكابرًا يريد أن يتهم الإسلام ويشوه حقيقة العقيدة الإسلامية" (٢: ٣٩٣).

ولأن تحقيق العدل مطلب لازم لتحقيق البناء الحضاري للمجتمع في أي زمان ومكان؛ أكّد الملك فيصل أن العدل مبدأ أصيل من مبادئ ديننا الحنيف، وهو في الوقت نفسه لا يتحقق إلا بإتاحة الفرص للجميع حتى يقدِّم ما يمكنه تقديمه من الخير والصلاح للجميع، وهو ما يشير إليه في خطابه

الذي ألقاه في جامع الزيتونة بتونس بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، وفيه يقول: "حينما نرجع إلى عقيدتنا الإسلامية، وإلى أصولها، وإلى أسسها، نجد فيها كل المتانة، ونجد فيها كل الخير، ونجد فيها كل القوة، ونجد فيها البناء، ونجد فيها التقدم، ونجد فيها في الوقت نفسه ضمان الحرية، وضمان العدالة والسماحة التي تعطي لكل صاحب حق حقه، وتعطي لكل إنسان الفرصة والمجال على أن يستكشف مواهبه، ويستخدم نشاطاته، ويستخدم ذكاءه فيما فيه صالح المجموعة" (٢: ٣١٧).

وامتدادًا لإرساء قواعد العدالة الاجتماعية؛ حرص الملك فيصل على أن تقوم الدولة بتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع، وهو المبدأ الذي ألزم به الفيصل حكومته تجاه أبناء الوطن في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مصنع شركة أسمنت اليمامة بالرياض في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، وفيه يقول: "وإن حكومتكم، أيها المواطنون - وطبعًا حينما أقول (حكومتكم)، فإنما أعبِّر عنكم أنتم - على استعداد لأن تسهم بكل مجهودها، وكل طاقاتها في سبيل إسعاد أمتها ومواطنيها، وكل فرد في هذا البلد، وأن تسعى إلى تيسير سبل العيش، وتكافؤ الفرص، وتهيئة الأعمال لكل مواطن على حسب قدرته وإمكانياته، وحسبما يستطيع من عمل، ولهذا فإننا حينما نتقدم بهذا المجهود، فإنما نقوم بواجبنا المفروض علينا تجاه أمتنا ووطننا" (٢: ٣٢٨).

رابعاً: استشعار عظم المسؤولية وثقل الأمانة

يقصد بالمسؤولية الشعور بالتكليف والأمانة الكبرى الملقاة على عاتق الإنسان انطلاقًا من معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّموَات وَالأَرْضِ وَالْجبَال فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَان إِنَّه كَانَ ظَلوماً جَهولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وعملاً بالهدي النبوي الذي بيَّن أن المسؤولية في الإسلام عامّة، وتشمل جميع أعضاء المجتمع المسلم، مصداقا لما صحّ عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته" (١١/ ٩٠١).

من هنا، فقد كان الملك فيصل مقدرًا بحق عظم المسؤولية التي تحملّها بتوليه مقاليد الحكم في البلاد، وهو ما يبدو واضحًا في خطبه التي اشتملت على العديد من الإشارات والتأكيدات على هذا المعنى، فعلى الرغم من أنه كان قد قطع وعدًا على نفسه بالإخلاص والعدل بين الرعية؛ إلا أنه كان يدعو جميع أفراد الشعب وفئاته إلى أن يكونوا عونًا له في هذا الشأن العظيم، مبينًا لهم كيفية تحقيق ذلك، فهو في الخطاب الذي ألقاه في احتفال أهالي مدينة الرياض بمناسبة مبايعته ملكًا على البلاد عام ١٣٨٤هـ، يقول بصريح العبارة: "وإنني لأرجو منكم أجمعين أن تكونوا عونًا في تحمل

هذه المسؤولية بالإخلاص لله سبحانه وتعالى، والتقوى، والمعاملة الحسنة الشريفة الخالصة فيما بينكم، وفيما بينكم وبين دولتكم، وأن تعينوا هذه الحكومة في عملها وإخلاصكم وأمانتكم، وأن تكونوا مع المصلح في إصلاحه، وأن تكونوا ضد المفسد في فساده" (٢: ٢٩٠).

وبلغ من استشعاره للمسؤولية أنه كان يدعو في خطاباته أفراد الشعب إلى الإسهام الفاعل والإيجابي في تحمل ما عليهم من المسؤولية تجاه وطنهم، وأداء الواجب المفترض عليهم نصحًا، وتوجيهًا، وإرشادًا، وتصحيحًا، و من ذلك ما أورده في خطابه الذي ألقاه في المهرجان الشعبي الذي أقيم في الرياض يوم السبت ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ٨ أكتوبر ١٩٦٦م، وفيه يقول: "ولذلك فإنني أدعوكم - أيها المواطنون - جميعًا بأن تكونوا في عون حكومتكم في توجيهها الاتجاه الصحيح. وإذا كانت هناك أي أخطاء أو أي ملحوظات فإن لكل فرد الحق بأن يبديها، وأن يوصلها إلى أكبر مرجع وإلى أصغر مرجع، فإن هذا حقكم أنتم، وهذا واجبنا تجاهكم وتجاه أي فرد في هذه الأمة" (٢: ٣٢٦).

وليس هذا فحسب، فقد كان حريصًا على دعوة كل فرد في البلاد لبذل الجهد في مجال عمله، وتوجيه المسؤولين والموظفين في الحكومة إلى العناية والاهتمام بمصالح أبناء الشعب، ولم يكن يتردد في نصحهم وتذكيرهم بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلن، وأداء الأمانة، واستشعار المسؤولية أمام الله تعالى فيما ولاّهم عليه من أمور وشؤون

وحاجات المسلمين، وهو ما أكده في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي الرياض بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه مقاليد الحكم عام ١٣٩٤هـ، بقوله: "... ثم أسألكم بعد ذلك فردًا فردًا من شعب هذا البلد الكريم أن تعينوني بكل جهدكم على أداء واجباتنا، وتحقيق ما نصبو إليه". ثم يضيف قوله في الخطاب نفسه: "ونطلب منكم أن يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه، وأن نحس جميعًا أننا في معركة من البناء تتطلب صبرًا وجهدًا ستكون نتيجته بعون الله ثمرات يانعات ننعم بها، وتنعم بها من بعدنا أجيالنا القادمة. أما موظفو الدولة وأجهزة الحكومة كافةً فيقع عليهم عبء خاص في هذه المعركة قوامه مخافة الله، والأمانة المطلقة، والشعور بالمسؤولية" (٢: ٤١٥).

ومما سبق يمكن أن يبرز جانب مهم من أهم جوانب شخصية الملك فيصل التي أسهمت إلى حد كبير في البناء الحضاري للمجتمع السعودي، ويتمثل في أنه لم يكن يجد حرجًا في أن يطلب من شعبه مشاركته في تحمل المسؤولية والقيام بأعباء الأمانة، وما ذلك إلاّ إدراكًا منه لعظم المسؤولية، وضرورة أن يشترك الجميع في تحمّلها وأداء واجباتها.

خامساً: تقدير قيمة العلم والمعرفة

وهو جانب مهم وواضح في بعض خطب الملك فيصل التي كان يركِّز فيها عليه، إيمانًا منه بدوره الفاعل والرئيس في نجاح عملية البناء الحضاري للمجتمع ولا نهوض لأمة إلا بالعلم والمعرفة. وطلب العلم والمعرفة والحرص على نشرهما

مسؤولية كبرى، ووسيلة لخدمة الدين والوطن والأمة قاطبة، وسبيل لبناء كيان الأمة وإعادة مجدها، وقد أشار إلى هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه عند زيارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتاريخ ٦ ذي القعدة ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "أيها الإخوة، إن المسؤولية الملقاة على عواتقكم وعواتق الجميع مسؤولية كبرى، فاسعوا إلى التفقه في دينكم، ومعرفة كل ما يمكن معرفته؛ لتكونوا مسلّحين بسلاح العلم، وسلاح الفقه، وسلاح المعرفة، حتى تكونوا مستعدين لما يجابهكم من صعاب ومن دعوات مضللة... ولتكافحوا في سبيل هذا الدين، ولتبصروا الناس بما يحتويه هذا الدين، وما تحتويه هذه الدعوة والشريعة من مزايا ومن مكارم ومن أسس، هي أصلح ما يكون للبناء الذي يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة" (٢: ٢٩٥-٢٩٦).

ولأن مسؤولية نشر العلم والمعرفة والثقافة ليست بالأمر اليسير الذي يمكن أن تقوم به أي جهة؛ رأى الملك فيصل أن تلك المسؤولية جزء كبير من واجبات الدولة تجاه أبنائها؛ وهو ما أشار إليه في الخطاب نفسه بقوله: "أيها الإخوان، إن ما نقوم به في سبيل نشر العلم، والدعوة إلى الله، ونشر الثقافة الإسلامية، ما هو إلا قليل مما يجب علينا، ولكننا نسير حسب الإمكانيات، وحسب ما يحتمله أو يقتدر عليه مجهود البشر" (٢: ٢٩٧).

وقد بلغ من حرصه على هذا الشأن أن تصدى للرد على بعض الشُبه والشكوك التي كان البعض من المغالطين يروج لها في هذا الشأن، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه

في افتتاح المؤتمر الإسلامي الثالث لوزراء الخارجية بجدة يوم الثلاثاء ١٤ المحرم ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٩ فبراير ١٩٧٢م، وفيه يقول: "فمن الناس من يحاول أن يشكك المسلمين في تشريعهم، ومنهم من يقول: إن التشريع الإسلامي يحول دون التقدّم والتطور والقوة، حتى إنني سمعت أن بعض الناس يسأل: هل التشريع الإسلامي يسمح بأن يدرس المسلمون أو يتعلموا أو يتثقفوا بالثقافة الحديثة من التكنولوجيا، ومن العلوم الفنية التي تزيد من قوتهم؟ فقلت: إن شريعتنا الإسلامية لا تسمح بهذا فقط؛ وإنما تحث وتأمر به" (٢: ٤٠٩-٤١٠).

ولعل خير دليل على تقدير الملك فيصل لقيمة العلم والمعرفة وعنايته بهذا الجانب الحيوي الذي لا غنى عنه لمسيرة البناء الحضاري للمجتمع السعودي ما لخصه أحد الكتاب في هذا الشأن بقوله: "وكان أول الخطوط الرئيسة في مجال التعليم قبل عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م يقتصر على برامج تعليمية محدودة؛ إلا أن النظرة الشاملة التي يتمتع بها جلالة الملك فيصل، والتي أخذت على عاتقها النهوض بالتعليم في المملكة العربية السعودية أدت إلى توسيع القطاع التعليمي، وتوفير الإمكانات اللازمة له، وتطوير الكفاءات العلمية المتخصصة" (٦: ١٧٥-١٧٦).

سادساً: النهضة التنموية والاقتصادية

يسعى الملك فيصل من خلال خطبه وتوجيهاته لأبناء شعبه إلى الحث على العمل المثمر، والجد والاجتهاد، والحرص على زيادة الإنتاج، انطلاقاً من كون القوة البشرية تعد ثروة

المجتمع الحقيقية، وأساس تقدمه ونمائه، وهو ما يشير إليه في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مصنع شركة أسمنت اليمامة بالرياض يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٢ أكتوبر ١٩٦٦م، وفيه يقول: "إن المكسب الأساس - أيها الإخوة - ليس الاستثمار وجمع الأرباح، وإنما المكسب الأساس هو السير بهذه الأمة، وبهذا الوطن إلى أن يبني مستقبله على قواعد سليمة، سواء من الناحية الدينية، وهي الإيمان بالله والتمسك بشريعة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، أو من الناحية الاقتصادية، وهي التنافس والسير في بناء الاقتصاد الثابت، أو من الناحية الاجتماعية لجميع المواطنين على اختلاف فئاتهم ومراكزهم" (٢: ٣١٨).

كما أنه كان يشجع أبناء الوطن على الإسهام والمشاركة في تنمية البلاد ونهضتها الاقتصادية، ويحثهم على التنافس الشريف في ذلك الميدان الاستثماري الذي لا شك أنه سيعود عليهم وعلى وطنهم بالخير والنماء، وتحقيق البناء الحضاري المنشود للمجتمع، وهو ما يشير إليه بقوله: "وإننا جميعًا نرى هذا التنافس - بين إخواننا المواطنين - في العمل على إسعاد هذا الوطن وأهله، ويحدونا الأمل بأن نرى في المستقبل القريب مشاريع كثيرة، مشاريع يقوم بها أبناء الوطن بأنفسهم، ويديرونها، ويستثمرونها، ويستخدمونها لخدمة أمتهم ووطنهم" (٢: ٣٢٧).

وسعيًا من الملك فيصل لتفعيل النهضة التنموية والاقتصادية للبلاد، وتوظيفها التوظيف الإيجابي الصحيح لتحقيق الخصب والنماء لأفراد المجتمع السعودي؛ اختار مع

حكومته الرشيدة لهذا الشأن أسلوبًا اقتصاديًا يعرف بـ (النظام الاقتصادي الحر)، الذي أوضح سبب اختياره له بقوله: "إننا اخترنا لتضامننا الاقتصادي النظام الحر. وفي اعتقادنا أن هذا، علاوةً على أنه يتفق تمام الاتفاق مع شريعتنا الإسلامية، يقوم بإفساح المجالات لكل الكفاءات مع الشعب، حتى يبذل كل شخص وكل جمع مجهوده في سبيل الصالح العام. إننا لا نقيِّد حرية أي إنسان في أن يستهدف في عمله، وفي اتجاهه ما يرى أن فيه صالحًا عامًا، ولكن هذا لا يعني أننا نترك الحبل على الغارب، فإذا رأينا أنّ هناك اتجاهًا لشخص أو جماعة بما يضر المجتمع، أو بما يضر الغير؛ فإننا نتدخل بحسب الشريعة الإسلامية لإصلاح الفاسد، ولتقويم المعوج، ولإحقاق العدالة الاجتماعية بين الجميع" (٤: ١٣١).

وعلى الرغم من الإنجازات الكثيرة والكبيرة التي تحققت في عهده إلا أنه كان دائم اللجوء إلى الله تعالى، يسأله ويرجوه التوفيق والسداد في القول والعمل، وهو ما نلمحه في خطابه الذي ألقاه في افتتاح مصنع شركة أسمنت اليمامة بالرياض في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٢ أكتوبر ١٩٦٦، بقوله: "وأرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقنا جميعًا إلى أن نبلغ ما نصبو إليه في سبيل ديننا، ووطننا، وأبناء شعبنا، وأن يجعلنا دائمًا سائرين في الطريق الصحيح، وأن يمنّ علينا بنعمة الاستقرار، والأمن، والرخاء لنتمكن من أداء ما يجب علينا تجاه هذا الوطن العزيز، وهذا الشعب الكريم" (٢: ٣٢٨).

سابعاً: الوعي بالحقوق والواجبات

تمثل قيمة الوعي بالحقوق والواجبات بين الراعي ورعيته أساساً لقيام المجتمع الحضاري على أسس متينة، وذلك مضمَّن في مبادئ الدين والشريعة الإسلامية وصريح النصوص الشرعية، وقد أكد الملك فيصل تلك القيمة في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي المدينة المنورة عام ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "إن هذا البلد الطيب له على الجميع حقوق وواجبات، فعلينا أن نجدد ماضيه، وأن نستنير بهدي من سكنه، صلوات الله وسلامه عليه، وأن ندافع عنه متعاونين" (٢: ٢٩٢-٢٩٣).

كما أن من أبرز ما تحفل به خطب الملك فيصل تأكيده المستمر والدائم أن الدولة لا بد أن تكون في خدمة الشعب، وأن عليها أن تسعى لتوفير كل ما يلزم لتحقيق ذلك المطلب الذي لا غنى عنه لعملية البناء الحضاري للمجتمع، وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في احتفال أهالي مدينة الرياض بمناسبة مبايعته ملكاً على البلاد عام ١٣٨٤هـ، بقوله: "أيها الإخوة، إن الدولة يجب أن تكون في خدمة الشعب، وإن من واجب الدولة أن تتحرى كل ما فيه الخير لشعبها ولأمتها، ولكل ما يلزم في خدمة هذا الشعب وهذه الأمة" (٢: ٢٩٠).

وقد أكّد وجوب قيام الحكومة بتقديم كل ما يمكنها تقديمه من خدمات ممكنة لأبناء الوطن؛ لكون ذلك جزءاً لا يتجزأ من واجباتها ودورها الرئيس في البناء الحضاري

للمجتمع، وهو ما يشير إليه في خطابه الذي ألقاه عند افتتاحه لمصنع شركة أسمنت اليمامة بالرياض يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٢ أكتوبر ١٩٦٦م، بقوله: "وإن حكومتكم - أيها المواطنون - على استعداد لأن تسهم بكل مجهودها، وكل طاقاتها في سبيل إسعاد أمتها ومواطنيها، وكل فرد في هذا البلد، وأن تسعى إلى تيسير سبل العيش، وتكافؤ الفرص، وتهيئة الأعمال لكل مواطن على حسب قدرته وإمكاناته، وحسبما يستطيع من عمل، ولهذا فإننا حينما نتقدم بهذا المجهود؛ فإنما نقوم بواجبنا المفروض علينا تجاه أمتنا ووطننا" (٢: ٣٢٨).

وليس هذا فحسب، فقد كان يحمِّل كل فرد في المجتمع جزءًا من المسؤولية تبعًا لإمكاناته وقدراته، وفي ذلك يقول في إحدى خطبه: "أيها الإخوة الكرام، إن كل فرد من أفراد المسلمين مكلّف في دائرته وحسب اقتداره، بأن يعمل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن يجاهد في سبيله بحسب إمكاناته وقدرته" (٢: ٣٠٥).

ولأن الفيصل - رحمه الله - كان واقعيًا في طموحاته، ومنطقيًا في نظرته لمستقبل بلاده؛ صرَّح أن ما ستقدمه الدولة للشعب لن يكون إلا في حدود الممكن، وهو ما يشير إليه في خطابه الذي ألقاه في حفل أهالي الرياض بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه مقاليد الحكم عام ١٣٩٤هـ، بقوله: "إخواني لسنا في حاجة إلى تكرار سياستنا الإصلاحية الداخلية التي سبق أن أعلنا عنها، والتي تسير سيرًا حسنًا في تنفيذها في حدود إمكانياتنا، وبكل طاقتنا" (٢: ٤١٦).

ثامناً: العناية بالشؤون الداخلية للبلاد

كانت نظرة الملك فيصل نظرةً متفائلةً ومتطلعةً إلى تحقيق المستقبل الزاهر لهذا الوطن؛ ولذلك فقد كان يؤكد في خطبه أن بناء مستقبل هذا الوطن ينبغي أن يكون بناءً متكاملاً في مختلف الجوانب الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية؛ وهو ما أشار إليه في خطابه الذي ألقاه في افتتاحه لمصنع شركة أسمنت اليمامة في الرياض يوم ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ، وفيه يقول: "إن المكسب الأساس أيها الإخوة ليس الاستثمار وجمع الأرباح، وإنما المكسب الأساس هو السير بهذه الأمة، وبهذا الوطن إلى أن يبني مستقبله على قواعد سليمة سواء من الناحية الدينية، وهي الإيمان بالله والتمسك بشريعة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، أو من الناحية الاقتصادية، وهي التنافس والسير في بناء الاقتصاد الثابت، أو من الناحية الاجتماعية لجميع المواطنين على اختلاف فئاتهم ومراكزهم" (٢: ٣٢٨).

كما أن مما يميز الملك فيصل بن عبدالعزيز أنه لم يكن يكثر من الحديث والكلام عن المنجزات والإصلاحات التي قامت بها الحكومة في عهده، وإنما كان يترك تلك الأعمال والإنجازات والإصلاحات تتحدث عن نفسها، وهو ما ألمح إليه في خطابه الذي ألقاه في حفل افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة في ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، بقوله: "وأنا لا أريد أن أشرح لكم ما تقوم به الحكومة من إصلاحات وعمران، فإن في مقدوركم أن تلاحظوا ما قمنا به من إصلاحات بأنفسكم" (٢: ٣٠٤).

وهكذا يتضح مما سبق أنه كان دائم العناية والاهتمام بالشؤون الداخلية للبلاد، وهو ما عبَّر عنه أحد الكتَّاب بقوله: "لا يكاد يخلو خطاب من خطابات الفيصل، أو لقاء من لقاءاته مع شعبه الأمين من حديث عن البناء والتعمير، واستعراض للمشاريع التي نفِّذت - وما أكثر ما نفِّذ في عهده من مشاريع - أو للمشاريع التي هي قيد الإعداد أو التنفيذ، فالفيصل يعتبر ما تبذله الدولة من جهود أو ما تقوم به من أعمال واجبًا لا داعي للمنة فيه لأحد، ولا ضرورة للإطناب بالحديث عنه، بل إنه لا يرى فيما يبذل إلاَّ خطوات متواضعة في الطريق إلى الحياة الأفضل" (٩: ١٤٨-١٤٩).

تاسعاً: التوازن في العلاقات الدولية وأثره في الاستقرار الداخلي

يمثل التوازن في العلاقات الدولية جانبًا على قدر كبير من الأهمية في فكر الملك فيصل وتعاملاته الخارجية، وقد كان لذلك آثاره الإيجابية التي انعكست إيجابيًا على الاستقرار الداخلي للمملكة العربية السعودية مما أسهم في وضع الأسس الحضارية لبناء الدولة السعودية المعاصرة، فتفرغ أبناء شعبه للعمل الجاد والمثمر، وزيادة الإنتاج في مختلف القطاعات، بعيدًا عن الانشغال بالحروب الكلامية، والمهاترات الإعلامية، وصرف الأوقات في الخلافات الجانبية، وقد كان من أبرز صفات الملك فيصل ترفعه عن الدخول في تلك المناوشات الكلامية التي كانت على أشدها من بعض وسائل الإعلام العربية آنذاك، وحرصه على عدم الالتفات إليها أو الانشغال بها، وهو ما أشار إليه في

الخطاب الذي ألقاه في افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة يوم ١٥ ذي الحجة ١٣٨٤هـ، وفيه يقول: "إنني أعلم أننا سنتعرض في دعوتنا الإسلامية إلى من يعارضنا، وإلى من ينتقدنا، وربما إلى من يهاجمنا. ولكننا لن نلتفت بحول الله وقوته لهم، فقد نذرنا أنفسنا - أيها الإخوان - لخدمة دين الله حسب طاقتنا، فليعترض من يعترض، وليهاجم من يهاجم، فلن نلتفت لهم، ولن نطالبهم بمثل ما يقولون، وإنما نقتصر على ما ورد في القول المأثور: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" (٢: ٣٠١-٣٠٢).

ويؤكد هذا المعنى النبيل في خطاب آخر ألقاه في الحفل التكريمي الذي أقامه الحرس الوطني في ٢٣ رجب ١٣٨٦هـ، يقول فيه: "إنني أؤكد أمام الإخوة الكرام بأننا لن نعاتب أحدًا، ولن نؤاخذ أحدًا، على كل ما بدر في حقنا، بل في حق هذا البلد وأهله، وإن قلوبنا دائمًا صافية، وقلوبنا دائمًا متجهة إلى الخير، وإلى الوفاق، وإلى التفاهم، فمن أراد ذلك فأهلاً وسهلاً، ومن أراد خلاف ذلك فليلق ما يلقاه، والله سبحانه وتعالى يوفقنا جميعًا للخير" (٢: ٣٣٥).

وهو إلى جانب ترفعه عن الانشغال بالردود، فقد كان كثير الحرص على توجيه شعبه إلى التكاتف والتعاون، وعدم الالتفات إلى المعترضين، والحاسدين، والمثبطين؛ وهو ما يشير إليه بقوله: "... ولذلك فلن يهمكم - بحول الله وقوته - المعوقون الذين لا يرضيهم إلا الهدم، ولا يحاولون إلا الصيد في المياه العكِرة، لأنهم إذا طلع عليهم النهار، واستبانت

الطريق فإن أبصارهم وبصائرهم تعمى عن الحق والحقيقة" (٢: ٣٢٣).

وعلى الرغم من التزامه ذلك المبدأ؛ إلا أنه كان لا يتردد في دعوة الآخرين إلى كل ما من شأنه تدعيم الأواصر ومد جسور التعاون في سبيل الصلاح والإصلاح، وقد جاء في خطابه الذي ألقاه في أحد المهرجانات الشعبية عام ١٣٨٦هـ، قوله: "أيها الإخوة الكرام، نحن - كما قلت - لا نريد من إخواننا العرب إلا أن نتصافى فيما بيننا كإخوة، ونتعاون على إسعاد شعوبنا والنهوض بها، وألاّ نستعمل قواتنا وشرطتنا في التدمير والتخريب، وفي إرهاب المواطنين، وفي سلب أموالهم وحرياتهم وكرامتهم. فهذه - أيها الإخوان - ليست من غاياتنا، ولا من أهدافنا" (٢: ٣٢٥).

ولأن هدف الفيصل من خطابه كان واضحًا وصريحًا؛ بدا حرصه وتركيزه على دعوته الحكيمة إلى العمل الجاد والتفرغ لها، والحرص على استكمال عملية البناء الداخلي؛ ولذلك فإنه لا يجد غضاضةً أو حرجًا في أن يكرر في الخطاب نفسه قوله بكل صراحة ووضوح: "ونحن لا نريد من إخواننا العرب أي مساعدة، ولا أي غاية من الغايات نهدف إليها، ولكن نريد من إخواننا العرب أن يحترمونا كإخوة لهم، وأن يحترموا استقلالنا وحريتنا، وأن يحترموا وطننا وأبناء وطننا" (٢: ٣٢٥).

وفي خطاب آخر ألقاه في الحفلة الموسمية الكبرى لتكريم ضيوف بيت الله الحرام عام ١٣٩٠هـ، يقول: "نحن لا نريد أن

نعتدي على أحد، ولا نريد أن نغمط حقًا لأحد، ولكننا في الوقت نفسه لا نقبل، ولن نقبل أن يعتدي علينا، أو أن تغمط حقوقنا" (٢: ٣٩٩).

وبعد، فمن كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى أن خطب الملك فيصل كانت تشتمل على العديد من الجوانب الرئيسة التي كان لها دور فاعل ورئيس وإيجابي في دعم وتشجيع وانطلاق مسيرة البناء الحضاري للمجتمع السعودي المعاصر، وهو ما أشار إليه أحد الكتاب بقوله: "ومن الملاحظ أن الخطب التي ارتجلها الفيصل في المناسبات المختلفة، سواء أكانت محليةً أم دولية، لا تمثِّل السياسة الحكيمة التي ساس بها الفيصل بلاده، وقاد بها شعبه إلى أوج الكمال ومعارج الرقي فقط؛ بل وجد فيها الباحثون جوانب قيمة ساعدت على تحليل زعامة إسلامية كبيرة في عالم أظلمت فيه سبل الحق وضاقت مناهجه. وبالرجوع إلى هذه الخطب رأيت أنها تركّزت على عدة جوانب، منها: القدرة الفائقة على الارتجال لدى صاحبها مما يشهد له بقوة الباع، وطول المِراس، والصراحة، والبساطة، وجمال الصياغة، وحسن السبك، ومطابقة عباراتها لمقتضيات الأحوال، والاستدلال بما يناسب المقام من القرآن الكريم والحديث الشريف، مما يدل على ثقافة دينية عريضة تؤهله للقيادة الدينية، والزعامة الروحية للعالم الإسلامي بأسره" (٦: ٨).

التوصيات والمقترحات

١ - العمل على جمع كل خطب، ورسائل، وكلمات، وأقوال، ولقاءات الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - في إصدار واحد؛ إذ إن هناك نقصًا واضحًا في تدوين وحفظ تلك الخطب والأقوال، على أن يتم توثيق ذلك الإصدار وتبويبه خدمةً للباحثين الذين يرغبون في تناول هذا الجانب بالدراسة والتحليل.

٢ - دعوة الباحثين والدارسين إلى دراسة وتحليل خطب الملك فيصل سواء تلك التي وجهها لشعبه الكريم، أو التي وجهها لغيرهم في مختلف المناسبات، ولاسيما تلك الخطب التي عنيت بدعوته إلى التضامن الإسلامي، والتي ألقاها في رحلاته العالمية لهذا الشأن، والعمل على إخضاعها للدراسة والتحليل من زوايا مختلفة للوقوف على دورها في بناء وتنمية المجتمع السعودي المعاصر.

٣ - أن يتم تسليط الضوء على محتوى بعض الخطب للملك فيصل من خلال تضمينها بعض مفردات المناهج التعليمية في مراحل التعليم العام، أو من خلال بعض البرامج الإعلامية ذات العلاقة ولاسيما في المناسبات المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

(١) السيد عليوه (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) الملك فيصل والقضية الفلسطينية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، الرقم ٢٤ .

(٢) دارة الملك عبدالعزيز (١٤١٩هـ) مختارات من الخطب الملكية، ج١، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ضمن إصدارات مكتبة الدارة المئوية بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

(٣) صلاح الدين المنجِّد (١٩٧٢م) فيصل بن عبدالعزيز من خلال أقواله وأعماله، بيروت: دار الكتاب الجديد.

(٤) صلاح الدين المنجِّد (١٩٧٤م) أحاديث عن فيصل والتضامن الإسلامي، بيروت: دار الكتاب الجديد.

(٥) عبدالرحمن بن إبراهيم الجريوي (١٤٢٣هـ) جهود خادم الحرمين الشريفين في مناصرة القضايا الإسلامية، ضمن سلسلة إصدارات وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية بمناسبة مرور عشرين عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم، الرقم ٢٤ . الرياض: وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٦) عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سليمان الحصين (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وجهوده في القضايا العربية والإسلامية (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م). الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(٧) عبدالرحمن محمود الحص (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رائد التضامن الإسلامي في العالم وقائد المسيرة الإسلامية، بيروت: دار نشر الآداب.

(٨) عبدالقدوس الأنصاري (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) سطور من تاريخ المغفور له الملك الصالح المصلح فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، نقلاً عن ما جاء في العدد الصادر في صفر / ربيع الأول ١٣٩٥هـ، المنهل، العدد ٥٥٥، المجلّد ٦٠، شوال - يناير / فبراير.

(٩) عيد مسعود الجهني (د. ت) فيصل بن عبدالعزيز قائد أمة ورائد جيل، مؤسسة الأنوار.

(١٠) مجلة المنهل (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) من مآثر جلالة الملك فيصل، العدد الممتاز الخاص برحلات التضامن الإسلامي، الجزء ١٢، السنة ٣٨، المجلد ٣٣، (ذو الحجة / ديسمبر).

(١١) محمد بن إسماعيل البخاري. (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م). صحيح البخاري. ط٢ . الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، حديث رقم (٢٤١٦)، جزء ٢، ص ٩٠١.

(١٢) منّاع القطان (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، قسم البحوث.

(١٣) ناصر الدين الأسد (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية، ضمن إصدارات مجلة الفيصل مع العدد ٢٤٠، الرياض: مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.